الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

النزعة التشاؤمية في الشعر الجزائري الحديث

في العشرينات

-كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر أنموذجا-

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطالبتين:
1- آسية قويصة.
2- نوال بولمعيز.

إشراف الأستاذ:
* إبراهيم لقان

السّنة الجامعية:2013/2012

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم إني أسألك إيمانا دائما وقلبا خاشعا

و علما نافعا ويقينا صادقا ودينا قيما"

اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني

وزدني علما

اللهم آميـــــــن.

شـــــكر و تقديـــــر

نتقدم بتشكراتنا الخالصة إلى كل من مد لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد لانجاز هذا العمل المتواضع من أساتذة و أهل و زملاء و صديقات ولو بكلمة طيبة.

ونخص بالذكر أستاذنا المشرف:" إبراهيـــم لقـــان " الذي كان حريصا كل الحرص على أن يكون بحثنا هذا أكاديميا ذا نجاعة، هذا و إن دل على شيء فإنما يدل على حبه و تقديره للعمل، فجازى الله الجميع خير الجزاء و شرح صدورهم للعلم و فعل الخير و أنار بصائرهم.

آميـــــن يا رب العالمين.

إلى الجزائر أمـــــا و أرضـــــا و بلـــدا.

الإهـــــــــــداء

إلى من سهرت عينها لتنام عيني، إلى من تعب جسدها ليرتاح جسدي إلى من تفرح لفرحي و تحزن لحزني، إلى من أوصاني بها ربي و نصحني بصحبتها رسولي – صلى الله عليه و سلم – إلى من حملتني فوق أقوى ذراعين، خلقها الرحمن إلى من رافقني بدعائها طوال الزمان.

أمي الغالية

إلى من تعب و شقي إلى من وعد و أوفى، إلى من تحمل برد الشتاء و حر الصيف إلى كل دعمي و سندي، إلى أملي و اطمئناني، إلى من يذل النفس و النفيس من أجلي

أبي الغالي

إلى رفيق الدرب إلى من سكن قلبي إلى من أرشدني و ساعدني في بناء طموحاتي إلى من رسم لي طريق النجاح و علمني حب الإخلاص و الوفاء إلى زوجي الغالي "عقون نذير"

إلى الضحكات و البسمات و الزهور و كل أنواع العطور إلى الفراشات و ألوان الربيع إخواني و أخواتي: محمد، علاء الدين، أيوب، أمال، سميحة، سلمى، هاجر.

إلى رفاق الدرب، إلى صديقاتي اللواتي سكن قلبي، إلى أستاذي المحترم الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه القيمة إلى كل طلبة العلم و المعرفة في قسم اللغة العربية، إلى كل من ذكرهم قلبي و نسيهم قلمي

– إلى كل من أحب –

نـــــوال

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أشرف النساء و هدية السماء، إلى منبع الحنان و الرقة و الأمان، إلى سر سعادتي و منايا، و نجاحي و هنايا، إلى الغالية أمي.

إلى من تعب لأرتاح إلى من كان عوني و سندي في الحياة إلى من هدني الثقة و الأمان و رباني على السنة و الإكرام، أبي الغالي.

إلى نسمة الزهور و روائح العطور: أختاي مفيدة و سعيدة وأزواجهما، و أولادهم طيور الجنة: وائل، هيثم، و إسحاق.

و إخوتي: توفيق، نور الدين، وديع.

إلى بركة العائلة جدتي الصافية.

إلى كل الأهل و الأقارب الأحباء كل واحد و كل واحدة باسمها خاصة: نادية و شهيناز و جميدة، و فراح.

إلى كل صديقاتي و زميلاتي و خاصة المقربات إلى قلب كل واحدة باسمها.

حفظ الله الجميع و رعاهم من كل مكروه.

آسية

مقدمـــــــة:

يلعب الشعر دورا هاما في حياة أي شعب من الشعوب تعبيرا عن واقعه و تسجيلا للأحداث الهامة من تاريخه و تصورا لظواهره، و ملامح المجتمع و تقاليده و آرائه الأصيلة، و الدارس للأدب الجزائري الحديث يلاحظ الدور الفعال الذي لعبه الشعر في التنفيس عن المشاعر الحبيسة و حث الشعب على الدفاع عن كيانه و التشبث بمقوماته و وجوه ذاته ضد محاولات للاستعمار المستميتة لتدويبه و طمس شخصيته القومية.

و الملاحظ أيضا أن الشعر في هذا العصر و خاصة مع مطلع القرن العشرين اجتاحته موجة من اليأس و الحسرة و الأسى و التفجع بما كان يحدث داخل الواقع المتعفن في الجزائر، فكانت للشعراء نظرة تشاؤمية تجلت في قصائدهم التي عالجوا فيها العديد من القضايا.

و يتمحور بحثنا الموسوم " النزعة التشاؤمية في الشعر الجزائري الحديث – كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 أنموذجا –" ليجيب عن سبب هذا التشاؤم، و يستكشف مظاهره من خلال نصوص الشعراء آنذاك.

أما الدوافع التي قادتنا إلى اختيار هذا الموضوع بالتحديد، فهي التعرف أكثر على الشعر الجزائري الحديث و إحيائه، و الاطلاع على أهم شعراء الجزائر في هذا العصر، و معرفة مدى تأثير الواقع على نفسية الشاعر، و مدى تعلق هذا الأخير بأحوال وطنه.

و قد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي، في تتبع مراحل حياة صاحب الديوان كصورة لبقية الشعراء، مع استعانتنا بالمنهج النفسي في تتبع مظاهر التشاؤم من خلال تحليل النصوص.

وقد تضمن هذا البحث مقدمة و ثلاثة فصول:

أما الفصل الأول: فكان بمثابة مدخل مطول عن الموضوع، تحدثنا فيه عن الأوضاع المختلفة السائدة في الجزائر، في الفترة قبل و أثناء و بعد العشرينات.

بينما تحدثنا في الفصل الثاني عن النزعة التشاؤمية و مفهومها و أسبابها .

أما الفصل الثالث فكان تطبيقيا تحدثنا فيه عن مظاهر هذه النزعة من خلال تحليل بعض النصوص لشعراء الديوان.

وختمنا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها النتائج من خلال البحث المتواضع.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في جمع المصادر و المراجع و هذا يعود إلى افتقار المكتبة للكتب، مما حتم علينا الانتقال إلى مناطق أخرى من أجل الحصول عليها.

من أهم الكتب التي استعنا بها لانجاز هذا البحث، كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمؤلفه محمد الهادي السنوسي الزاهري، و ديوان محمد العيد آل خليفة، و قاموس المنجد لـــ انطوان نعمة، و كتاب "صالح خرفي" الذي كان بعنوان "الشعر الجزائري الحديث"، و كتاب " عبد الله الركيبي "دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث"، و كتاب عمر بوقرورة " دراسات في الشعر الجزائري المعاصر".

في الأخير نحمد الله على جزيل نعمه و كثر آلائه لما نحن عليه اليوم، و نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة معهد الأدب العربي، و كل أعضاء هيئة التدريب وعلى رأسهم الأستاذ "إبراهيم لقان" الذي تكرم بالإشراف على هذه المذكرة.

الأوضاع السائدة في الجزائر في العشرينات:

1- الوضع السياسي:

لم تكن الدبلوماسية الجزائرية قبل احتلال فرنسا لبلادها تأبه أو تعطي أهمية كبيرة لما كان يصرح به، أو يصدر عن القادة الفرنسيين و أولي السياسة عندهم من العسكريين و المدنيين، «على الرغم من أنه لم تتوقف سياسة أوروبا عن التحرش على الشمال الإفريقي خاصة السواحل الجزائرية بل تعدى ذلك إلى التصريح بأن الجزائر بنت روما البكر و أيضا كانت مستعمرة لروما، و جاء العرب فاحتلوها و غزوها معتدين و جاء الأتراك بعدهم فاحتلوها كذلك و غزوها و استعمروها، و جئنا نحن أبناء فرنسا لنعيد الأشياء إلى موضعها و استئناف إرث روما جدتنا في وضع طبيعي»[1].

أما على صعيد الواقع فإن كثرة هذه التحرشات التي تعرضت لها الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي «من بعض الدول الأوروبية كفرنسا و بريطانيا و اسبانيا كفيلة بالقول بأن الأوروبيين قد عقدوا العزم على التخلص النهائي من نشاط الأسطول البحري الجزائري الذي كان يفرض قيودا على التجارة الأوروبية في حوض البحر المتوسط، و يعيق أطماعهم التوسعية في القارة الإفريقية»[2].

و بالفعل فإن أحلامهم تلك التي راودتهم قرونا لم تتحقق إلا بالمباغتة الغادرة لهذا الأسطول الجزائري و شل حركته و تحطيمه، و من جهة أخرى تعتبر هجمة فرنسا على "ميناء سيدي فرج" يوم الخامس من جويلية سنة الثلاثين بعد الثمانمائة و الألف إنفراد

[1] -عبد الكريم طبيش، أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهي من خلال جريدة "البرق" (دراسة إحصائية فنية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2007، ص 7.

[2] -المرجع نفسه، ص 7،8.

الاحتلال الفرنسي بالجزائر، بعدها بسط هذا المحتل الفرنسي نفوذه على العاصمة و ما جاورها من مدن كبرى. وقد ترتب عن ذلك تحول كبير في حياة المواطن الجزائري الآمن المطمئن حيث حلت به تراجيديا الجهل و الفقر و التخلف، «بدأت فصولها من ذلك التاريخ المشئوم و استمرت قرنا»[1].

« و اثنين و ثلاثين سنة، تفنن المحتل خلالها في تعذيب و تجهيل و تجويع و تقتيل شعب تفاجأ بسقوط بلاده بهذه السرعة»[2]. كما لم يصدق الشعب الجزائري ما جاء في البيان الموجه إليه من طرف قادة الاحتلال، و الذي خلاصته أن الفرنسيين أصدقاء لا يضمرون الشر و لا يريدون من حملتهم على الجزائر إلا طرد الأتراك.

لقد أصبحت الجزائر منذ حملت الاحتلال عام 1830م «مسرحا للعديد من الأنظمة الإدارية المختلفة انطلاقا من نظام "المكاتب العربية". فبعد الاحتلال مباشرة وجدت السلطات الفرنسية نفسها أما شعب كثير العدد تجهل لغته و عاداته و تقاليده و طبيعة بلاده الجغرافية »[3]. و حاول ضباط جيشها أن يستميلوا إليهم بعض الشخصيات التي تفاوضوا معها و أغروها بمناصب الأغوات والحلفاء والقواد، ومما لا شك فيه أن الباحثين تعرضوا بالدراسة والتحليل لتلك المقاومة السياسية التي أبداها الجزائريون سواء كانوا طبقة مثقفة أو كانوا طبقة شعبية صامدة بعاداتها وتقاليدها و أخلاقها وعزها وكبريائها في وجه المحتل الفرنسي.

[1]–المرجع السابق، ص 8.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه ، ص 9،10.

1 – مراحل الحكم الاستعماري للجزائر:

أ – مرحلة الحكم العسكري (1830 – 1870):

ما يميز هذه المرحلة من الحكم العسكري للجزائر هو « تضمنها ثلاث فترات متعاقبة هي فترة تردد الساسة الفرنسيون في احتلال الجزائر ما بين 1830 – 1833 ، ثم أعقبها فترة الاحتلال الضيق ما بين 1833 – 1840 ، ثم فترة الاحتلال الشامل التي بدأت عام 1840 ، واستمرت على عهد الحكم المدني بالتوغل في الصحراء الجزائرية »[1].

بعد معركة " اسطوالي " بين القوات الجزائرية و جيوش الاحتلال الفرنسي استطاعت فرنسا حسم الموقف العسكري لصالحها وفرضت سياستها على الوضع الداخلي فكان أول بيان وزع من طرف رجال المخابرات الفرنسية داخل الجزائر و خارجها ، وكان الهدف منه هو تشتيت الصف الجزائري حتى تتمكن فرنسا من تحقيق أهداف حملتها العسكرية من جهة و تحييد جيران الجزائر، من جهة أخرى و في نفس السياق البيان الثاني الموجه إلى « كراغلة الجزائر بعنوان " نداء موجه من طرف الجيش الفرنسي إلى الكراغلة أولاد الأتراك و العرب القاطنين بإيالة الجزائر »[2] الذي أكد مرة أخرى سياسة معاهدة الاستسلام المشؤومة الموقعة بين حاكم الجزائر " الداي حسين باشا " وقائد الحملة العسكرية الفرنسية " الكونت ديبرمون " بتاريخ 5 جويلية 1830.

ومن ميزات سياسة الحكم العسكري للجزائر أيضا « تلك اللجنة التي أوفدتها حكومة باريس لتقصي الحقائق ، والتي عرفت باللجنة الإفريقية عام 1833»[3]هي بدورها رفعت

[1]– بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830–1930 و انعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص 90.

[2]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، ص 91.

تقريرا مفصلا عن حالة الجزائر و أوضاع شعبها جراء الاحتلال الفرنسي و مما جاء في هذا التقرير ما يلي: « ... لقد اغتصبنا ممتلكات الأحباس وحجزنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض بل أرغمنا أصحاب الممتلكات التي تم الاستيلاء عليها بالقوة على دفع مصاريف هدم أي مسجد من مساجدهم ... لقد قتلنا أناسا كانوا يحملون رخص التجول، وذبحنا سكان المدن و القرى المشكوك فيهم و تبين فيما بعد أنهم كانوا أبرياء ، وقمنا بمحاكمة رجال مشهورين في البلاد بورعهم و تقواهم و رجالا محترمين لا ذنب لهم، إلا تقربهم منا قصد الشفاعة لأبناء وطنهم فتعرضوا لبطشنا و غضبنا ...»[1].

ب-مرحلة الحكم المدني(1870-1930):

على الرغم من المحاولات العديدة التي قام بها المستوطنون في الهيمنة على الوضع في الجزائر على عهد الحكم العسكري خاصة «الدور الذي لعبه أبو الاستيطان "المارشال بيجو" إلا أنهم تضايقوا من سياسة "نابليون الثالث" الذي حاول تقليص نفوذهم، عند إعلان توقيف الهجرة. و هذا ما جعلهم يعملون جاهدين لمعارضة سياسته الخاصة بالجزائر»[2]. على الرغم من أن القضية تتعلق بأسلوب الاستعمار نفسه فالعسكريون احتلوا الأرض بالقوة و فرضوا عليها السيادة الفرنسية و هم في ذلك يفتحون أبواب الجزائر للمستعمرين المدنيين لامتلاك العقارات و استغلال الأرض.

إن قيام النظام المدني الذي أعلنت عنه الجمهورية الثالثة في 9 مارس 1871 فتح من جديد ملف الاستيطان، فإلى جانب قوانين 21 جويلية و 4 سبتمبر 1871 التي تسمح بتأجير الأراضي للمعمرين ما مقداره 100 ألف هكتار دون دفع الضرائب، هناك كذلك

[1]- أحمد الخطيب، حزب الشعب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج1، ص 21.

[2]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 137.

مرسوم 6 أكتوبر 1871 الذي يعطي الأولوية للمستوطنين الفرنسيين في الاستفادة من القوانين السابقة.

بالإضافة إلى «مراسيم 30 مارس 1878 التي تهدف إلى إقامة أكبر عدد ممكن من الملكيات الصغيرة مع ضرورة إنشاء قرى على ساحة تقدر بـــ 40 هكتار كأقصى حـــد و تكوين مزارع على مساحة 100 هكتار، هذا إلى جانب قانون "وارني أوغست" المعروف بقانون 26 جويلية 1873»[1]. و قد تلاه القانون الخاص بالتبعية «... الذي يرمي إلى توطين الوافديـــن الجـــدد من المهاجرين الأوروبيين في الأراضي الجزائريـــة و بهذه القوانين التعسفية سيطر المستوطنون على الجزائر سيطرة تكاد تكون شبه كاملة»[2].

القوانين السياسية في عهد الاستعمار:

أ- قانون كريميو:

إن القرارات و المراسيم التي أصدرها "أودولف كريميو" تصب كلها في خدمة المعمرين على الرغم من كونه يهودي الأصل لذا حاول إدراج يهود الجزائر ضمن مخططه حتى يتمكنوا بدورهم من الحصول على الامتيازات التي هي بحوزة المستوطنين غير اليهود، فبمجرد تعيينه مسؤولا عن للداخلية في حكومة الدفاع الوطني حتى راح يصدر القرارات و المراسيم تلو الأخرى التي تخدم مصالح المستوطنين فكان من أهمها المراسيم الصادرة في 24 أكتوبر 1870 و أهم ما جاء فيها ما يلي:

[1]- بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 و انعكاساتها على المغرب العربي ، ص 97.

[2]- المرجع نفسه، ص 98،97.

«1-إلغاء منصب الحاكم العام العسكري في الجزائر و تعويضه بحاكم مدني يكون مسؤولا على رؤساء المقاطعات الثلاثة.

2-ضرورة حصر سلطة القائد العسكري في المناطق التي يتواجد فيها الجيش فقط دون تدخله في القضايا ذات الصيغة المدنية.

3-الحاكم العام المدني يعين من طرف مجلس الوزراء و هو الذي يطبق سياسة الحكومة في الجزائر.

4-يؤسس مسئولو المقاطعات مجالس عامة منتخبة خاصة بالفرنسيين دون سواهم و يحق لوزارة الداخلية أن تعين ستة مسلمين في كل مجلس عام»[1].

ب-قانون الأهالي:

في 29 أوت 1874 صدر هذا القانون على عهد الحاكم العام المدني للجزائر الجنرال "شانزي" «...الذي كرس بدوره هيمنة المستوطنين على الجزائر فجاء هذا القانون ليمنح رؤساء العملات صلاحيات إعداد قوائم المخالفات ضد الجزائريين على أن يتولى القضاة المدنيون تطبيق العقوبات، و بذلك فإن الأحكام الصادرة عنهم في نظر القانون أحكاما نهائيا»[2].

[1]- المرجع السابق، ص 99.

[2]- المرجع نفسه، ص 100.

و كان الهدف الحاكم العام المدني من إصدار هذا القانون الجائر هو «فرض النظـــام و الأمن خاصة البند 17 منه و المتعلق بجهاز القضاء في القبائل، ليعمم هذا القانون في 11 سبتمبر 1875 على كامل التراب الجزائري»[1].

و بناء على هذه المخالفات فإن الأحكام الصادرة بشأنها يمكن أن تصل إلى سنتين سجن كأقصى حد و لإلى دفع غرامة مالية ما بين 15 إلى ألفين فرنك فرنسي، و ذلك حسب أمزجة رؤساء العمالات.

ج–قانون فبراير 1919:

لقد أفرزت مشاكل الجزائريين في الحرب العالمية الأولى متغيرات عميقة في ذهنياتهم سواء الفكرية منها أو السياسية و من هذا المنطلق كانت بداية القرن العشرين «مرحلة تنازل السلطات الاستعمارية تجاه الجزائريين الأهالي في بعض القضايا ذات الصلة بهم، و التي عليها بعض ساسة فرنسا طابع رد الجميل أو بالأحرى التزام هؤلاء الساسة بعهودهم للجزائريين الذين دافعوا في الحرب العالمية الأولى على شرف فرنســـا و كانت نتيجة هذا الالتزام هو المشاورات السياسية بين رئيس الحكومة "جورج كليمانصو" و الحاكم العام المدني "سليستان جونار" التي انتهت بالإعلان عن قانون إصلاحي في فبراير 1919»[2] و كان أهم قراراته «منح التصويت في الانتخابات المحلية لما يقارب 421 ألف جزائري مسلم مع حقهم في التمتع بالامتيازات التي يتمتع بها

[1]– جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 126.

[2]– بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830–1930 و انعكاساتها على المغرب العربي ، ص 100.

المستوطنون حاملي الجنسية الفرنسية، إلى جانب حق بعض الجزائريين في المشاركة المحلية»[1].

2- الوضع التاريخي:

دناءة الاستعمار الفرنسي الظالم:

إن إجرام السلطة الفرنسي و مجازر جيوش احتلالها في حق الشعب الجزائري، لن تجد حدودا، مادامت هذه الجهات فقدت ضميرها الإنساني، و فقدت الخوف من الله و ليس هناك رقيب عليها.

إن الاستعمار الفرنسي خدع الرأي العام الفرنسي و الأوروبي و خدع الكنيسة المسيحية بإدعائه أنه لم يستهدف احتلال الجزائر كدولة و شعب ذات سيادة و لكن فقط تأديب الإدارة التركية عن الإهابة بعد حادثة المروحة التي لحقت بفرنسا الدولة الكبرى، لكنها المهزومة في أوروبا من قبل جيوش روسيا و المحاصرة من قبل بريطانيا.

«إن الإدعاء و الزعم إن حملتها العسكرية، هي حملة مسيحية و تبشيرية في أرض الإسلام لا يبعد عليها، هدف الانتقام من الإسلام و المسلمين و لا يبعد عليها العنصرية ضد العرب في الجزائر، و هذه جرائم ضد الإنسانية التي لا يسكت عليها الشعب الجزائري، الذي عرف عبر التاريخ بدفاعه و استماتته من أجل الإسلام و السيادة الوطنية و الكرامة»[2].

[1]- المرجع السابق، ص 101.

[2]- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية: في القرن التاسع عشر، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 149.

أمام السهولة التي احتل بها الاستعمار الفرنسي الجزائر، لسوء و ضعف تنظيم جيش "الداي حسين" «الذي يعد (بعد) أن خسر معركة واحدة بسطاوالي لجأ إلى التفاوض قصد الاستسلام و الرحيل بعائلته التركية إلى نابولي ثم إلى تركيا، محملا بالذهب و الممتلكات و الجواري، الأمر الذي تم له، و كان الاتفاق مبرما ضمنيا من قبل»[1]. هذه السهولة قابلها الكثير من الإحباط و اليأس الذي ألم بالجزائريين الغيورين على سيادتهم و كرامة شعبهم.

منذ اعتداء الاستعمار الفرنسي الصليبي على المسلمين في الجزائر لاختار ممثليهم من أبناء جلدتهم لكن هذا يكون بمجموعة من الشروط منها:

«1- لا يقل سن المنتخب عن 25 عاما.

2- أن يكون أعزب أو متزوج من امرأة واحدة.

3- أن يكون قد ارتكب مخالفة أو عملا ضد الحكومة الفرنسية.

4- أن يكون قد جند في الجيش الفرنسي.

5- أن يكون له مستوا تعليميا بحيث يحن القراءة و الكتابة بالفرنسية.

6- إذا كان عنده وسام شرف فرنسي»[2].

إن تزايد هيمنة المستوطنين على كل مناحي الحياة في الجزائر أدى إلى تبلور فكر سياسي جزائري تولت عنه حركات سياسية ظهرت كرد فعل طبيعي للعمل السياسي المنتهج من طرف سلطات الاستعمار و من ورائها المستوطنين.

[1]- المرجع السابق، ص 145.

[2]- المرجع نفسه ، ص 101،102.

د- قانون 1947 (القانون الأساسي):

صدر القانون في 20 سبتمبر 1947 في عهد الجمهورية الرابعة، و قد استمر هذا القانون قائما حولي ثمانية أعوام و من أهم ما أشتمل عليه هذا القانون:

«1- أن الجزائر جزء من الأراضي الفرنسية لكن لها شخصية مدنية و إدارية و مالية مستقلة.

2- المساواة بين جميع سكان الجزائر في الحقوق السياسية و الاجتماعية و تولي الوظائف العامة.

3- تستخدم اللغة العربية بجانب اللغة الفرنسية في المدارس بالجزائر.

4- تفصل الشؤون الإسلامية - عن الإدارة الرسمية- و يعد لها إلى هيئات إسلامية خاصة.

5- إلغاء النظام العسكري في الجنوب، و إخضاعه (إخضاع الجنوب) لإدارة مدنية.

6- يشكل المجلس الجزائري من 120 عضوا نصفهم من المستوطنين و نصفهم الآخر من الوطنيين، و ذلك بالانتخابات لمدة ست سنوات و مهمة المجلس مناقشة ميزانية الجزائر، و إصدار اللوائح المحلية في الشؤون الاقتصادية و غيرها من الأمور المحلية.[1]»

و قد نص القانون الأساسي على أن للجزائر ميزانية مستقلة تستمد مواردها من الرسوم و الضرائب المفروضة عليها، و تنفق حصيلتها على المديريات الجزائرية باستثناء الدفاع الخارجي، و الأمن الداخلي فتبقى ضمن أصول الميزانية الفرنسية.

[1]- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص 396.

و يلاحظ أنه رغم ما كان منتظرا من القانون الأساسي سنة 1947 كان الهدف منه إرضاء العناصر الوطنية –لكن النتيجة كانت عكس ذلك خصوصا حين أصبح "أدسون نيجلين" حاكما عاما– فاستجاب للعديد من رغبات المستوطنين مما زاد من سخط الوطنيين الذين أدركوا أن الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في الجزائر لم تتحسن عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية بل ازدادت سوءا، بدءا من "سيدي فرج" غرب الجزائر العاصمة و مواطني الشرق الجزائري يتوافدون فرادى و جماعات على إدارة "الداي حسين" في الجزائر طالبين الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الظالم.

لم تقتصر المقاومة على فئة معينة من أبناء هذا الوطن العزيز بل انظم إليها الرجال و النساء، و الأطفال و الشيوخ الذين كانوا غيورين على دينهم و وطنهم اللذان حاولت فرنسا تدنيهما و التي ارتكبت جرائم عديدة و فظيعة ضد الشعب الجزائري.

لقد قدم الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر «ليس كما زعم لتأديب إدارة الأتراك في الجزائر على إهانتهم لقنصلهم "دوفال" و لكن بغرض تسوية مسألة الديون اتجاه الجزائر إلى غير رجعة و فتـــح أسواق جديـــدة لسلع فرنسا»[1]. و هذا من أجل خدمة اقتصادهـــا و تدعيم مصالحها.

و قد تجلت أهداف الاستعمار الخفية و بدا على حقيقته عندما «احتلت جيوشه مدينة عنابة خلال عام 1832، و بجاية عام 1833 »[2].

نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين:

[1]– المرجع السابق، ص 165.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تميزت هذه الفترة بالمقاومة التي قادها الشيخ "بوعمامة" ضد العدوان الفرنسي و التي امتدت من 1881م–1908م بالجنوب الوهراني الذي كان شبه مستقل بالرغم أنه كان يسكنها فئة قليلة من المعمرين الأوروبيين في بعض القرى و المراكز الخاصة. إن "بوعمامة" كغيره من أبناء الجزائر الذين يغارون على عرض و شرف بلادهم الطاهرة لذلك كان ثائرا و متحمسا لقيادة ثورة ضد الطغيان الفرنسي الظالم، و ما زاد من انفعاله و رفع عزيمته من أجل الحصول على السيادة الوطنية و الاستقلال و عزيمة رفاقه و أتباعه عدة عوامل اجتمعت عام 1881م.

فلقد بالغت السلطات الفرنسية في نشر الخصومات و الشقاق بين أفراد الأسرة.

و من الذين تأثر "الشيخ بوعمامة" بهم و كانوا قدوة له "جمال الدين الأفغاني" الذي كان ينشد هو الآخر إلى إصلاح المجتمع الجزائري إضافة إلى أنه كان رجل دين متحمس، و إلى "جمال الدين الأفغاني" هناك 'الدعوة السنوسية' التي كانت أكثر نشاطا في المناطق الصحراوية، أما ما عزز "بوعمامة" و دفعه إلا تفجير الثورة هو انتقال رحيل الجيش الفرنسي من المنطقة الوهرانية إلى تونس و أيضا مقتل الضابط "وانبرنز"* و ذلك أثناء محاولته لاعتقال و بالقوة مبعوثي "بوعمامة" لدى الجرامنة بوادي الحجل، و هذا السبب الأخير هو الذي أشعل النار بين "بوعمامة و الاحتلال الفرنسي و قامت بينهما مجموعة من المعارك خرج منها الفرنسيون بخسائر كثيرة حتمت على الفرنسيين طلب المساعدة من فرق أخرى.

و نفس الأحداث كانت سائدة في الجنوب الجزائري فالأوضاع الصحراوية لم تكن أحسن مما كانت عليه المدن الشمالية لأن أطماع فرنسا شملت الجزائر من شمالها إلى جنوبها و من شرقها إلى غربها إذ اهتم الاحتلال بالتوارق و منطقة الهقار و إن كان ذلك في وقت متأخر عن استيلائها عن الشمال، فقد تنوع اهتمامهم للمناطق الصحراوية إلى

محاور ثلاث رئيسية، كانوا أكثر تركيز عليها و هي: «المحور الأول: وهو الهدف الأساسي لهم، و هو التركيز غلى الغزو و التوسع الاستعماري... المحور الثاني: برز كنتيجة للاهتمام الأول: لخدمته و تدعيمه، يتمثل في محاولة وضع شبكة من طرف المواصلات الحديدية، و البرية و أسلاك الهاتف،... و المحور الثالث: و الأخير برز كنتيجة للاهتمامين الأول و الثاني، و لخدمتهما معا كذلك، و يتمثل في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي، من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية و المناخية القاسية للصحراء »[1].

و كان الهدف من هذا الاهتمام جعل المناطق الصحراوية و الهقار معتقلات للثوار و المجاهدين الذين كانوا يفرون إليها، و زيادة على ذلك ربط مستعمراتها بعضها ببعض خاصة بعد استعمارها لغرب إفريقيا و هذا يزيدها أكثر توسعا و سيطرة.

مع مطلع القرن العشرين انتقل الشعب الجزائري من الكفاح المسلح إلى الكفاح السلمي ليسترجع قواه و يستعيد أنفسه، راجين أنه لربما يكون الأسلوب المناسب، و دامت هذه التجربة نصف قرن كان بمثابة إجازة للشعب الجزائري، و في هذه الفترة كان هناك ثلاث معابر رئيسية: الأول بدأ بالمطالبة بالمساواة بين الأغلبية الجزائرية و الأقلية الأوروبية، الثاني كان ينادي باستقلال الجزائر، أما المعبر الثالث فركز جهوده في الدفاع على شخصية الجزائر و عروبتها و إسلامها.

أما الاستعمار فلم يقف ساكنا يشاهد الجزائريين بل اشتد عزمه و اغتنم الفرصة من أجل الحصول على حضوض أخرى و قد نجم عن ذلك هجرة بعض الأسر الجزائرية

* هو نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض سنة 1881.

[1]– ينظر: يحي بوعزيز: موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب، ج2، ص 279،278.

خاصة بعد لإصدار قانون التجنيد الإجباري و طبق عام 1912م. فقد هاجروا إلى الشـــام و تركيا و حتى إلى فرنسا و أوروبا لنفس الغرض، و للبحث أيضا عن مجالات العمـــل و من بين هؤلاء برز عدد من المثقفين بالفرنسية كان لهم دور كبير في المطالبة بحقوق الجزائريين و أنشؤوا صحفا لذلك.[1]

الفترة ما بين 1930– 1945:

إن هذه الفترة تعد محطة تحول كبيرة في حياة الشعب الجزائري إذ فيها تفطن للحالة المزرية، و للنهوض بها إلى مستوى أحسن مما هي عليه.

«لعل الفترة ما بين 1930م– 1945م هي الفترة التي بدأ الشعب يتلمس فيها طريقه الصحيح و يبحث عن ذاته، و ينشـــد كيانـــه و ذاتيته التي ضاعـــت بين ضباب الفرقـــة و الاختلافات الحربية »[2].

في هذه الفترة كثرت النيابات و هي نوع من الأساليب الغادرة التي استعملتها فرنسا من أجل الإطاحة بالجزائريين و الوصول إلى أهدافها الدنيئة للاستيلاء على ما تبقى من الجزائر، فقد تزعمت فرنسا أن هذه النيابات تعمل لصالح خدمة المواطن، و بما أنه كان في الجزائر من لا تهمه إلا مصلحته و جيبه فقد سهـــل على الاحتلال تطبيـــق مكيدتـــه و الوصول إلى مبتغاه، لكن الشعب الجزائر تفطن لذلك و أحس بأن خطرا يهدد كيانه، فراح يدعوا إلى مؤتمر عام يوحد صفوفه و يخدم جميع الناس و ليس فئة بعينها.

و بالفعل تم اجتماع هذا المؤتمر و ذلك بالعاصمة سنة 1936م، ضم جميع الاتجاهات و الأحزاب، و حمل شعار المؤتمر الإسلامي الأول، و قد انبثق عنه نواب

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص: من 298 إلى 301.

[2]– عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 52.

ذهبوا إلى فرنسا ليفاوضوها في بعض المطالب و كالعادة حاولت فرنسا جلب بعض من عناصر المؤتمر و جرهم تحت سلطتها بإغرائهم بالمقاعد البرلمانية، و جعلهم نواب يعملون لصالح البرلمان الفرنسي، و كان شعارهم "نعم"، فقد أعلـــنوا بذل ولائهم لفرنســـا و وافقوها سلفا على ما تريده لذلك «أطلق عليهم الشعب عنوان (بني وي وي) الذين لا يرفعون أيديهم في وجه فرنسا، و إنما يسيرون في ركابها، و يأتمرون لأمرها »[1]. و هذا الحال كان على كامل التراب العربي و ليست الجزائر وحدها.

الحركة الوطنية و أحداث 8 ماي 1945م:

إن توقيع فرنسا الهدنة مع ألماني في يونيه 1940، و نفي "ميصالي الحاج" و عدد من الزعماء لم يكن بالأمر المطمئن للجزائريين لكن التطورات التي حققتها الحرب في الشمال الإفريقي بعثت الأمل من جديد في نفوسهم، ففي 11 نوفمبر 1942م نزلت قوات الحلفاء في الجزائر.

« و قد برزت في هذه الفترة من قادة الحركة الوطنية "فرحات عباس" و قد بدأ نشاطه هو و بعض أنصاره بتقديم عريضة للقيادة الأمريكية بالجزائر و للإدارة الفرنسية بها التابعة لقوات فرنسا الحرة و طالبوا فيها بإجراء بعض الإصلاحات على الأوضاع في الجزائر كما طالبوا بإتاحة الفرصة للجزائريين للاشتراك في جيش فرنسا الحر»[2]، لكن "جيرو"* رفض مناقشة العريضة و كان تبريره أن الظروف السياسية لا تسمح بمناقشة ما هو سياسي.

[1]– المرجع السابق ، ص 59.

[2]– شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ، ص 393،394.

*الحاكم العام الفرنسي بالجزائر.

و قد قام "فرحات عباس" و أتباعه بيانا طالبوا فيه بمجموعة من المطالب كان أهمها المساواة بين جميع الجزائريين في الحقوق و الواجبات و أن اللغة الرسمية هي اللغة العربية، و جعل التعليم في الطور الابتدائي إجباريا، و أن يكون الجزائريين نصيب في إدارة بلادهم.

في ماي 1945م حدث في مختلف مدن إقليم قسنطينة إضرابات قام بها سكان مدن سطيف، قالمة، عنابة، و بجايـــة، مما سمح لفرنسا اغتـــنام الفرصة للفتـــك بالمواطنـــين و إحداث مذبحة رهيبة قتل فيها ما يزيد عن 8000 قتيل.

لكن أسباب المذبحة الحقيقية بقيت مجهولة و اختلفت الآراء حولها، فهناك من أرجعها إلى أنها من تدبير المستوطنين من أجل القضاء على الحركة الوطنية و البعض الآخر أرجعها إلى أسباب أخرى «كعدم استجابة المسؤولين الفرنسيين لاهتمامات المواطنين المتعددة، وعود الحلفاء بمنح الدول الواقعة تحت سيطرة الدول الكبرى حقها في تقرير مصيرها، انتصار الحلفاء...، قيام منظمة الأمم المتحدة...، قيام الجامعة العربية »[1].

و قد حققت فرنسا مرادها في قمع الثورة و القبض على عدد كبير من القادة الوطنيين و قدموا للمحاكم.

3- الوضع الثقافي:

لقد سعت فرنسا إلى محو تاريخ الجزائر، و طمس شخصيتها، و قطع حبال اتصالها بالعروبة و الإسلام فلجأت إلى التدمير المعنوي للشعب الجزائري و أنه دون المستوى المحتل، و من لم القبول يفرض إرادته و سيطرته عليه.

[1]- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ، ص 395.

و من أهم وسائلها توظيف الأدب لهذه المهمة القذرة، و لهذا "ظهر فن جديد من فنون الأدب في اللغات العربية لا يهنى إلا بتحري الصفحات السود من تاريخ الشعوب المغلوبة، و الغوص على متالبها،و تشويه حسناتها، و طمس آثارها و سنة ما اشتهرت به من منجزات حضارية إلى شعوب أخرى"[1].

" و بهذه الطريقة ينشأ الجيل متنكرا لماضيه خجلا من انتمائه القومي أو الحضاري السهل الانقياد للعدو، و هكذا نجحت سياسة الاستعمار أحيانـــا و كان من ثمارها للعـــدو و ظهور بعض الأدباء و الزعماء مستسلميـــن للمنطـــق الاستعماري، مروجـــين لآثاره و الأمثلة على ذلك كثيرة".

في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، و لعل هذا يبدو بشكل أوضح في قول أحد أبناء المدرسة الفرنسية، فرحات عباس:"و لو أني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين و لما خجلت من ذلك فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون، و لا تساوي حياتي أكثر من حياتهم و مع ذلك فلن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن ذلك الوطن ليس له وجود، لقد سألت التاريخ و سألت الأحياء و الأموات، فلم يحدثني أحد عنه و لا يمكن البناء على الهواء، و لقد استبعدنا تماما جميع هذه الأوهام لتربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد"[2].

و في هذا القول أبلغ تأثير للحملة العنيفة التي شنها أدب الاستعمار لزعزعة النفوس، و خلخلة الثوابت. و قد تصدت جمعية العلماء لدعاء الاندماج و رد 'الإمام ابن باديس' على 'فرحات عباس': "إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، و فتشنا في الحالة الحاضرة

[1]– ينظر: إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية) مذكرة ماجستير في أدب الحركة الوطنية الجزائرية (غير منشورة) ، جامعة قسنطينة، 1428–1429/ 2007–2008، ص 12.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ص 12.

فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة موجودة كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا و هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، و لن تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت"[1].

و من وسائل الاستدمار كذلك، الإبادة الثقافية التي مارسها على الثقافة الجزائرية، فقد أغلق المدارس و المراكز الدينية التي كانت تنبعث منها هذه الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، "و نهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القيمة و أتلفوا بعضها"[2].

و من أخطر أسلحة الاستعمار كذلك تغريب الجزائريين عن اللغة العربية ففي أواخر القرن التاسع عشر زار "أحمد شوقي الجزائر"، و عندما عاد إلى القاهرة تناقلت الصحف قوله المشهور: "و لا عيب فيها (أي الجزائر) غير أنها مسخت مسخا، فقد عاهدت مساح الأحذية يستنكف عن النطق بالعربية، و إذا خاطبته لا يجيب إلا بالفرنسية"[3].

مع العلم أن مساح الأحذية لا يصلح معيارا للحكم على حالة الجزائر الثقافية، و لكن ما يؤكد تردي حالة العربية، و انفصال الجزائر النسبي عن المشرق.[4]

و قد زار أحد الصحافيين المصريين الجزائر مطلع القرن العشرين، و أفزعه وضعها العلمي، و تقهقر الفصحى فيها فكتب: "إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس العربية بالمرة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى إلى حفظها، و لا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس"و" هكذا إذن حارب الاستعمار

[1]– المرجع السابق، ص 13.

[2]– المرجع نفسه، ص 13، 14.

[3]– المرجع نفسه ، ص 13، 14.

[4]– سعر الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الرائد العربي عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ج1، ص 89.

اللغة و الثقافة العربية، و ضيق عليها الخناق في عقر دارها، في حين وفر كل الظروف لتعميم استعمال الفرنسية في جميع الميادين، و فرضها بمنطق القوة، و القوانين التي سنها"[1].

غزا الفرنسيون الجزائر بالسلاح و العلم، فحققوا الاحتلال و الاستعمار و الاستيطان بالسلاح و الجيوش، و حققوا نشر لغتهم و دينهم و عاداتهم و صحافتهم و مطبعتهم و مسرحهم...الخ، بالعلم و الاختراع. و إذا كان الاستعمار شرا كله فإن بعض الشر أهون من بعض، كما قال الشاعر العربي، ذلك أن في وجود بعض المخترعات التي كانت مفقودة في الجزائر قبل الاحتلال فوائد هامة، على المدى البعيد، و من ذلك المطبعة و الصحافة و العلوم المتطورة.

"ولقد شهدت معظم المؤلفات المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال هذه الفترة أن الوثائق و المخطوطات كانت من أول ضحايا الاحتلال و الغزو، و قد قال الكتاب الفرنسيين (بربر وجر) أنه كان لكل جندي قرآنه، و هو أن الجنود كانوا يعتبرون كل ورقة مكتوبة بالعربية قرآنا، فكان منهم من يقوم بحرقها و إتلافها"[2].

وقد عبر الشاعر الكبير " محمد بن الشاهد "، الذي كان قد تولى الفتوى قبل الاحتلال، وأصبح بعد سنة 1830 طاعنا في السن فاقدا للبصر، وفقيرا معدما، قال على لسان مواطنيه يرثي مدينة الجزائر بعد أن وقعت فريسة ذلك الغزو ويخاطبها بقوله:

لبست سواد الحزن بعد مسرّة وعمت بواديك الفتون بلا حصر

رفضت بياض الحق يوما فأصبحت نواحيك تشكو بالأماني إلى الجور

[1]– ابراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 14.

[2]– سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 89.

ولثّم درس العلم والجهل عسعس ونادى بتعطيل العلوم على النشـــر[1]

وناح على الأسواق طير خرابهـــا فأصبح فأس الهدم ينبئ بالغـــــدر

أصبت بسهم من عيون سهامهـــا تراد على المعيان بالشفع والوتـــر

نقضت عهود بالوداد تقـــــررت ووليت أقواما توالت على ضـــــــر

فجاسوا بروجا للحروب تشـــيدت وداسوا ديارا بالنواهي وبالأمـــــــر

ونالوا من الأموال يسرا ميســـرا وفازوا بها والقلب يصلى على الجمر

أموت وما تدري البواكي بقصتي وكيف يطيب العيش والأنس في الكفر[2]

ومن أفضع ما حدث أيام الاحتلال الأولى تلك الفضيحة التي هزت الرأي العام الجزائري والفرنسي، ونعني بها تهريب عظام الموتى المسلمين من الجزائر إلى مرسيليا في فحم العظام وتبييض السكر.

ولم يكن ذلك الاستهتار بالمؤسسات الدينية مقصورا على العاصمة، ولكنها هي الأولى التي واجهت شر الغزاة الفرنسيين، فقد عرفنا كيف سارع ..... في وهران إلى تحويل جامع "خنق النطاح " إلى مستشفى عسكري، سنة1831وسارع " دارماندي " و " دوزير " إلى تحويل جامع " سيدي أبي مروان " في عنابة إلى أغراض عسكرية أيضا.[3]

[1]–المرجع السابق، ص 88، 89.

[2]– المرجع نفسه ، ص ن.

[3]– المرجع نفسه، ص 86.

" ومن جانب آخر أظهرت السلطات الفرنسية اهتمامها ورعايتها للزوايا الدينية لتقديمها إلى الناس على أنها المعبر الحقيقي عن الدين الإسلامي في الجزائر.واستطاعت في الوقت نفسه توظيف كثير من الزوايا لتخدير الشعب الذي ضرب رقما قياسيا في الجهل والأمية"[1]" وبث فكرة خطيرة في أذهان هذا الشعب، مفادها أن الاستعمار شيء مقدر ومحتوم، ولا يمكن تجاوزه، مع إعطاء هذه الزوايا التي سارت في ركابها بعض الصلاحيات والامتيازات كإعفائها من دفع الضرائب وتقديم بعض المساعدة لها"[2]

ولمحاربة الزوايا التي رفضت التعامل مع الاستعمار منتهجة بذلك الثورة ضده أسلوبا، وأسلوبا مغايرا للأول (العمل العسكري)، " ويتمثل في كسب بعض الزوايا الضعيفة إلى صفة لموازنتها بالأولى و ضربها بالثانيـــة وكثيرا ما راحت بعض الزوايـــا و الطرقية تقع ضحية الإغراء المادي في أيدي الاستعمار يديرها كما يشاء وبأية طريقة يريد".[3]

فقد كانت الجزائر المسلمة كسائر البلدان الإسلامية محط أنظار بلدان أوروبا المسيحية، و كانت عودة التبشير المسيحي إليها ابتداءا من القرن الثاني عشر ميلادي، أي بعد سقوط الأندلس وخروج المسلمين منها، وقد اتخذت هذه العودة عدة أوجه منها:

أ – التبشير عن طريق الحروب الصليبية

ب – التبشير عن طريق إرسال المبشرين.

[1]– عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان 16120، الجزائر، ص 191.

[2]– المرجع نفسه ، ص 191.

[3]– المرجع نفسه، ص 192.

ج – التبشير المستتر، تحت غطاء افتداء الأسرى.[1]

" حيث درس المبشرون الفرنسيون المجتمع الجزائري في منطقة القبائل دراسة دقيقة وكان هدفهم في ذلك معرفة كل ما يتحكم في نظام معيشتهم و أساليب تعامل الناس فيما بينهم وكل ذلك من أجل " أن يندسوا بين أفراد هذا المجتمع لإيجاد الطرق التي بواسطتها يستطيعون التأثير عليهم فيما يتعلق بالعمل التبشيري وبناءا على ذلك التفوا إلى العرف والى اللهجات وإلى قدرة سكان منطقة القبائل على التكيف "[2].

مع ما يطرأ على محيطهم الاجتماعي من مستجدات كما لاحوا كثافة السكان المرتفعة في جرجرة، واعتقدوا أن ذلك كله هو في صالح التبشير...

بعد أن استعرض الباحث الأسس التي رأى أن المبشرين بنوا عليها مخططاتهم التبشيرية ووقفوا على العناصر المختلفة التي شجعتهم على السعي حثيثا نحو تنصير الشعب الجزائري وبالأخص في منطقة القبائل، رغم كل الصعوبات التي واجهتهم سيحاول فيما يأتي إبراز الأهداف التي رموا إلى بلوغها من وراء فتحهم للمدارس، والعمل على جلب الأطفال الجزائريين إليها.

وفي رأي الباحث أن التعليم التبشيري في الجزائر كان يرمي إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارها من معوقات العمل التبشيري.

[1]– ينظر: محمد الطاهر و علي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830–1930 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات حلب، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2009، ص 26.

[2]– المرجع نفسه ، ص 66.

2- نشر لغة وثقافة المستعمر بين الجماهير الجزائرية باعتبارهما أدوات تسهل للاستعمار البقاء في الجزائر.

3- تكريس الإخلال والإدماج والقضاء على الثورات الوطنية التي توالت ضد الاستعمار الفرنسي.

4 – تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير و إعادة المسيحية إلى الجزائر أي إحياء الكنيسة الإفريقية التي اندثرت منذ الفتح العربي الإسلامي في النصف الأول من القرن الهجري الأول .[1]

5- التنصير الذاتي.

6- تكوين نخبة في الجزائر موالية لفرنسا.

7- مؤازرة التعليم العمومي (المدني الفرنسي)"[2].

" فقد خاض العلماء المسلمون مقاومة صامته ضد المبشرين المسيحيين وهكذا لم تفلح سياسة فرنسا الثقافية تماما في تحقيق أغراضها، وعلاوة على ما مر لما انطلقت المقاومة الوطنية تحت قيادة رجال الفكر من المواطنين في الجزائر .

أسهم الشعب الجزائري كله كرجل واحد في الجهاد بما فيه الرجال والنساء والشبان والشيوخ "[3]. فكانت الجمعية بمثابة الطريق الذي بعث بنهضة قومية وثقافية فكانت مبادؤها ومواقف أعضائها ونشاطهم يعطي صورة واضحة عن التمسك بثوابت الأمة الجزائرية

[1]- محمد الطاهر و علي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1930 دراسة تاريخية تحليلية ، ص 66، 76.

[2]- المرجع نفسه، ص 67.

[3]- أمال ايزين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، في ورقلة مجلة الأصالة، العدد 47/46، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، جوان-جويلية، 1977، ص 88، 89 .

الإدماج والاحتلال باسم الثلاثي المقدس: الدين والثقافة والوطن. " فكانت أعمالها المطبوعة بطابع تربوي تثقيفي مدخلا إلى موقف سياسي "[1] (...).

وكان دورها طلائعيا رياديا لم يسبق له مثيل في تاريخ الحركة الوطنية ويتمثل ذلك في: " إثارة النخوة الوطنية والعزة والقومية، وتنمية الوعي الديني و الاجتماعي ، فأثرت الحياة الفكرية الاجتماعية، و السياسية بمفاهيم مازالت تمد الحياة الجزائرية بمدد لا ينفذ من الطاقة الحية، والإدراك السليم للأمور".

وقد اتفق أعضاؤها على إخفاء البعد السياسي و الثوري وراء المقاصد الدينية والثقافية المعلنة في قانونهم الأساسي وقد كان نشاطهم في المجال الاجتماعي والديني هو بعث نهضة فكرية دينية قائمة على القرآن، والسنة النبوية، وهدى السلف الصالح (...). ويمكن تحديد ما تركز عليه الإصلاح لدى جمعية العلماء من العناصر الآتية:

1 – التعليم:

على الرغم من الحرب الشرسة التي شنها الاستعمار على الثقافة العربية في الجزائر، وبالرغم من قلة الإمكانيات المتاحة لأصحابها، ووسائل المحافظة عليها ، فقد حافظت على مكانتها في نفوس الجزائريين وذلك لأن « الأمة الجزائرية كانت من الحصانة اللغوية و الوطنية ما لم تكن من السهولة و اليسر أن يؤثر فيها وجود الاستعمار ولو دام قرونا طويلة».[2]

[1]– إبراهيم لقان، ، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 14، 15.

[2]– المرجع نفسه ، ص 15.

2 – الصحافة:

فقد كان للصحافة دور كبير في نشر أشعار شعراء الجزائر حيث أن أغلبية أشعارهم كانت تنشر في الصحف والمجلات كجريدة " الشهاب "، " المنتقد "، " صدى الصحراء " فهو ما جعل معظم الشعراء يؤلفون قصائد يشيدون من خلالها الى دور الصحافة في تنوير العقول ونشر العلم و المعرفة فهذا " أبو اليقظان " يقول في قصيدته "الصحافة":

إن الصحافة للشعوب حـــــياة والشعب من غير اللسان مــوات

فهي اللسان المفصح الذلق الذي ببيانه تتدارك الغايـــــــــات

فهي الوسيلة للسعادة و الهنـــا و إلى الفضائل و العلا مرقـــاة [1]

كانت تلك الصحف منيرا للأدب الذي صور أحداث و مآسي الشعب الجزائري في تلك الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر.

ولمعت أسماء كتاب وشعراء كبار في مجال الكفاح من أجل الحفاظ على الجزائر

عربية مسلمة [2]،(...) و أصبحت ظاهرة صدور الجريدة و اختفاؤها السريع لا تستلفت حتى النظر عند " محمد العيد" « وهو يتحدث إلى القراء متقمصا مجلة الشهاب بعد احتجاب المنتقد سنت 1926 ».

خليا عنكما حديث احتجابي عرجا بي إلى العلا، عرجـــا بي

[1]– أبو اليقظان، الديوان، ص 5.

[2]– محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 83.

فلئن رحت غيلة لافتــراء ات فإني قد آت خير مـــــآب[1]

كما نجد مجلة " التلميذ" كانت تصدرها الجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين بإفريقية الشمالية. ونجد العدد الأول الذي صدر في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة و ألف:

« ... إن ديننا يطالبنا بالثقافة العربية الإسلامية، تلك الثقافة التي رفعت لها الجزائر في نواح كثيرة، وفيما سلف من القرون أعلاما خافقة ، ومنارات ساطعة _ تلك الثقافة التي أضاءت قطرنا والعالم الإسلامي ، بعدما سقطت قرطبة، وتهدمت صروح بغداد. تلك الثقافة التي كان منبعها الكتاب المبين...»[2]

كما نجد من أرقى الجرائد العربية أسلوبا " الصراط السوي" لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان " العقبي والزاهري " يرأسان تحريرها فكانا صحافيين لامعين.

ونجد قول " الإبراهيمي " والتي يقول في بعضها: « ... وهذه جريدة البصائر تعود إلى الظهور، بعد احتجاب طال أمده. وكما تعود الشمس إلى الإشراق بعد التغيب، وتعود الشجرة إلى الإيراق بعد التسلب، فلا يكون اعتكار الظلام، وأن جلل الأفق بسواده، إلا معنى من معاني التشويق إلى الشمس ، ولا يكون صر الشتاء – و إن أعرى الأشجار باشتداده – إلا خزنا لقوة الحياة في الأشجار.

والشمس موجودة، و إن غابت عن نصف الكون.

والشجرة حية، و إن أفقدها الصر جمال اللون.

[1]– إبراهيم لقان ، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 18.

[2]– عبد الملك مرتاض، أسلوب الصحافة العربية في الجزائر، مجلة، طبع بمطابع الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر، ص 39.

كذلك صحيفة البصائر: احتجبت صورتها عن العيان: و إن كانت حية في النفوس ممثلة في الأفكار...»[1].

حيث تضمن الوضع الاجتماعي للإصلاح (الإصلاح الاجتماعي)، متمثلة في النوادي الجمعيات والمدرس والمعاهد وتحرير المرأة والنيابة الحزبية.

فنجد النوادي والجمعيات وليدة العقد الأول من هذا القرن وأول ما عرفت الجزائر منها (نادي صالح باي والجمعيتان (التوفيقية) و (الرشيدية) غير أن هذه الجمعيات و تلك النوادي غالبا ما يكون تأسيسها بإشارة من الإدارة الفرنسية العامة.[2]

فالجمعية ظهرت تحت قناع الدين بدل السياسة و ذلك لتكون بعيدة عن أعين الاحتلال ومن أهم ما ذهب إليه إنشاءه الجمعية.

نادي الترقي في الوسط، أما في الشرق فكان نادي قسنطينة (نادي صالح باي) ونادي تلمسان.

حيث نجد نادي الترقي يعتبر ملتقى السياسيين « وكان ابن باديس يلقي المحاضرات فيهذا النادي كلما مر بالجزائر العاصمة ، كما كان النادي مركز لقاء الطبقة الجزائرية المثقفة، والزائرين الأجانب، ولا سيما الشرق الأدنى »[3]

وعن مكانة هذا النادي الأدبي أنداك يقول عبد الملك مرتاض « ولا يغالي الباحث في جوانب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر أثناء العقد الرابع من هذا القرن أن

[1]– المرجع السابق، ص 42، 43.

[2]– صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 139،140.

[3]– سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 423، 424.

العد نادي الترقي بالجزائر ، بل في مجموع الوطن كعكاظ في الجاهلية في جزيرة العرب ، كالمربد في البصرة أثناء القرن الأول الهجري ».[1]

كما نجد نادي قسنطينة قد توقف عن النشاط مع نشوب الحرب العالمية الأولى فقد أشار إليه " محمد العيد آل خليفة " في محاضرة بعنوان (سير النوادي و حظ الجزائر منها) فقال: « فهل لنا معشر الجزائريين من هذه النوادي حظ و نصيب؟ أما قبل الحرب الكبرى فلا ، إلا ما وصلنا من نادي (صالح باي) بمدينة قسنطينة منذ زمان، وهو اليوم في خبر كان ».

أما الحركة الثقافية بقسنطينة بعد الحرب العالمية الأولى مدينة لرائد الإصلاح للإمام " ابن باديس" الذي كان « يمضي نهاره في الدرس ، وقد بلـــغ عدد طلابـــه سنة ثلاثـــة و ثلاثين من هذا القرن العشرين ثلاثمائة و ستين طالبا ، و كانوا جميـــعا يستمتعون إليه و يحضرون دروسه التي كان يلقيها بالجامع الأخضر .»[2]

" أما مركز تلمسان: يعد ظهور أحزاب سياسية انتشرت نوادي كثيرة فكان في كل مدينة ناد أو أكثر يناقشون فيه ، الشؤون الاجتماعية و الثقافية و السياسية « فقال الإبراهيمي إنه كان لدى جمعية العلماء وحدها أكثر من سبعين ناديا تحمل رسالتها و تضم أتباعها»[3].

كما كانت دار الحديث بتلمسان ناديا ثقافيا نشيطا يستقبل العلماء من الجزائر و من غيرها ، وبلا شك أنه كان للشعر حظ كبير في هذه الدار.

[1]– إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 21.

[2]– المرجع نفسه ، ص 22.

[3]–ينظر: المرجع نفسه ، ص 23.

" إن هذه النوادي والمراكز الثقافية كان لها شأن كبير في اليقظة الفكرية حيث كانت تحتشد بها الجماهير طالبة العلم، وكان لها الفضل في حفظ الثقافة العربية من رياح التغريب، وكان المرتع الخصب للأدب الرفيع ففيها تلقى الخطابة الرائعة، والشعر الجميل و المقالة الشيقة وحملت للشعب الجزائري بوادر الأمل بإشراق فجر جديد.»[1]

كما نجد الجمعيات الثقافية و الخيرية : كانت مهامهم ترتكز على المهام الاجتماعية و الدينية حيث يقول سعد الله : « و بإمكاننا أن نزعم أنها قد سبقت النوادي في التكويـــن و بالخصوص تلك النوادي أشرنا إليها كانت تحمل رسالة وطنية ضخمة ».

ومن هذه الجمعيات (التوفيقية والرشيدية) فالأولى « ودية خيرية تهذيبية أدبية علمية ، والثانية وطنية مؤلفة من قدماء تلامذة المكاتب العربية الفرنسية في الجزائر (...) ».[2]

فكانت هتين الجمعيتين خاضعتين للاستعمار تعملان بأوامره و تتظاهران بعمل الخير للجزائريين « حيث اشترك في إدارتها فرنسيون ، وقد تتلقى مساعدات مادية سنوية من الحكومة ، ولذلك فهي تدور في فلك من النشاط لا يتجاوز رضى الحاكم ، وربما سخرت منابرها للدعاية له ، و التنويه برسالته الحضارية ».[3]

[1]– المرجع السابق، ص 24.

[2]– المرجع نفسه ، ص 25.

[3]– صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 104.

4- الوضـــــع الاجتماعي:

لم يعش الأدب الجزائري نفس الظروف ولم يتخذ نفس الاتجاه الذي سلكه أو اتجهه أي أدب ما ، حيث اختلف الأدب عن غيره من الآداب في الأوضاع المزرية التي سادت داخل المجتمع الجزائري.

فقد كثر الفقر والجوع و الأمراض والجهل و كذا كثرة الخرافات ، حيث منع تعلم اللغة العربية و إنشاء المدارس الفرنسية في الجزائر فإنها كانت تمارس وتجسد نفس المنظومة التربوية و كان تاريخ الجزائر مرتبطا بتاريخ فرنسا و كأن الجزائر لا تملك تاريخ خاصا بها ، أما عن الخرافات ، فقد علق الشيخ " الإبراهيمي " على دور الطرقيين في مساعدة الاستعمار قائلا « إن المرابطية هي الاستعمار في معناه الحديث المكشوف ، وهي الاستعباد في صورته القطيعة ».[1]

« فقد كانت المرابطية قادرة على تجنيد الإخوان (الأتباع) باسم كلمة الجهاد ، وجمع الأموال باسم الدين ، وحمل السلاح دفاعا عن الأرض و الشرف و الإسلام »[2].

فالمرابطية هي فرقة صوفية دينية كانت منتشرة في الجزائر تؤمن بفكرة أن تاريخ الجزائر مرتبط بتاريخ فرنسا.

حيث بلغت حالة الجزائر أنداك كما يقول " ابن باديس " حدا لا يطاق : « كانت الجزائر في تلك الأوقات تعاني أزمة من أغرب الأزمات ، فالحقوق معدومة و المظالم مرهقة ، والضرائب فاضحة ، و الأحكام الزجرية قاسية رهيبة ، و لا يكاد يجتمع ثلاثة

[1]- المرجع السابق ، ص 34.

[2]- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 382.

من المسلمين حتى يكون البوليس رابعهم ، وقد انحطت الأخلاق تجاه هذه النكبات و ألفت النفوس الخنوع و الانزواء ، ومن تكلم و تحرك عدّ ثائرا مقاوما للسلطة ».(...)

كما عبر عن هذا الوضع الصحفي " أبو اليقظان " التي أثرت على النفسية العامة للجزائريين حيث قال: « في سياحتي هذه شاهدت أينما حللت كلحا في الوجوه ، و تعقدا في الألسنة ، وتبرما في النفوس ، وحرجا في الصدور ، وتذمرا عاما وقلقا شاملا ، وعداوة متمكنة من غير العلة ، وبغضا مستحكما من غير سبب ، ونفورا من كل شيء ، و ريبة في كل أحد... حتى كان من الناس لهذه الأزمة العصيبة من يفكر في الهجرة تماما من هذه البلاد »[1].

هذه الظروف التي سببها الاستعمار أدت بالجزائريين إلى الهجرة خارج الوطن خاصة إلى فرنسا التي كانت في أمس الحاجة إلى اليد العاملة العامة الرخيصة لتعويض نقص العمل في المصانع الناتج عن الحرب العالمية الأولى ، وقد شجعت السلطات الاستعمارية هذه الهجرة لتفرغ الجزائر من سكانها الأصليين ، وتحل محلهم المعمرين من جنسيات أوروبية مختلفة.

فقد كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى غايتين أساسيتين : غزو الأرض ثم غزو الأفكار (الغزو العسكري والغزو الفكري). حيث صرح الجنرال " دوبورمون " للقساوسة ورجال الكنيسة قائلا: « إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تينع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذا الربوع »[2]. وكان العسكريون الفرنسيون يعتقدون أن لهم رسالة تمدنية و حضارية يقومون بنشرها تحت راية المسيحية وقد صرح

[1]– إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 9،8.

[2]– عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، ص 67،66 .

وزير الحربية الأسبق " كليمون تونير " « انه ليس من الغريب أ، نرى العناية الالاهية تناشد الملك وريث سان لوي لينتقم للإنسانية والدين و الاهانات الشخصية ، أولا عندما نقوم في المستقبل بتمدين الأهالي و تحويلهم إلى مسيحيين ... ».

وعلى صعيد آخر نجد في تلك النـــفس الأبية التي نشـــأت في عز جمعية العلمـــاء و دلالها ، وفي ظل نشوتها و إبائها ، تلتقي بها وهي تعيش تجربة الغربة داخل وطنها وبين أهلها فقد أبادتها صروف الدهر و نوائبه حين ثقلتها يد أثيمة حاقدة من قمم النوادي الشامخة إلى أسفل وطأة العدو الذي لا يرحم و يتألم الشاعر لهذا السقوط في قوله مخاطبا جيل (بومنقوش):

رماني حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طـــــوال

فعشت به كيونس في سقـــام لدى قومي و لكن في انعزال

إدخال إقامتي حبرا كقـــــــبر حملت إليه كالجثث .....[1]

حيث نجد في عرف الواقع « من نفايات أمس » فلا عبر ولا عظات ، أنها السنوات العجاف التي لم تنجب إلا الكلام و الوداعة و البكاء:

أساس رميـــــــــــــــم

لمثوى قديـــــــــــــــم

وطين ينوح فيه الخـــــــراب

و أكوام فحم وقـــــــــش

[1]– عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص 71،70.

وجرذان راكضة خائفـــــــة

وشارات مقبرة نائمـــــــــة

وأشباح ذعر وخـــــــــوف

على جثث من نفايات أمـــــس

ومن محصر السنوات العجاف. [1]

ومن خلال هذه الأوضاع الاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري من وحشية نجد صورة الفرنسي في الشعر الجزائري فكانت مدمرة فالسجون و المعتقلات و المحتشدات كانت مدارس للتعذيب التي خرج بها الفرنسيون عن آدميتهم... .

وكان للكلمة الفنية صوت مسموع (...) ، فالأدب حامل الثقافة كان الضحية الأولى للمأساة فهو العدو اللذوذ للمستعمر يفسد عليه خططه ، ويفضح نواياه ولهذا وكما يرى " صالح خرفي ": « طغت على الشعراء ، وهم مقياس الإحساس القومي موجة من التشاؤم ، و القتامة و التذمر ، و الشكوى حتى أنك لتعجب و أنت تتصفح تراجمهم بأقلامهم في (شعراء الجزائر)».[2]

بيد أن موجة اليأس التي سيطرت على الشعر الجزائري في العشرينات بدأت تتلاشى بعد تأسيس جمعية العلماء التي انضوى تحت لوائها جل الشعراء ، فقد أخذت الحركة الإصلاحية منذ 1931 تسجل الانتصار تلو الانتصار في الميدانين الاجتماعي و الثقافي ،

[1]– المرجع السابق، ص 86.

[2]– إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، ص 11.

فقد « أسسوا المدارس العربية الحرة ، والنوادي الثقافية ، والمجلات الأدبية ، وحاربوا الأمراض الاجتماعية مثل: الخرافات الغليظة »[1].

[1]– المرجع السابق، ص 11.

1- مفهوم النزعة التشاؤمية

أ- لغة:

نزعة: اتجاه فطري أو نفسي إلى شيء، إلى التصرف على نحو ما: "نزعة إلى الشك"، نزعة إلى الخير"// استعداد عقلي لاتخاذ منحى معين استجابة لدافع داخلي، ميل، اتجاه "نزعة سياسية"// "نزعة غريزية": رغبة تدفع المرء إلى ما يمكن أن يقضي حاجته و يرضي غرائزه و ميوله الطبقية: "نزعة غريزية إلى شيء جديد"// "نزعة قتال": ميل شديد إل القتال// "نزعة إنسانية": ميل إلى معاملة الناس معاملة إنسانية و إلى صنع الخير لهم، محبة الخير العام// "نزعة طائفية مهنية": مذهب اقتصادي اجتماعي ينادي بإيجاد مؤسسات مهنية نقابية تخول سلطات اقتصادية و اجتماعية و سياسية[1].

تشاؤمية: تشاءم: تطير "تشاءم عندما رأى سير الأحداث"

تشاؤم: حالة نفسية تقوم على النظر إلى الأمور من الوجهة السيئة و الاعتقاد ميال إلى التشاؤم[2].

ب-اصطلاحا: تمثل معانات الإنسان لأزمة الحياة من اليأس،ظلمة، حزن و مرد ذلك في جملته إلى ضعف الإنسان و قصوره إزاء الكون من جهة و إزاء مطامحه من جهة أخرى فقد يغلبهم أثناء تفكيرهم اليأس و القنوط فإذا هم يتشاءمون و إذا كل ما حولهم يبعثهم على التشاؤم الشديد و هي نظرة للحياة يغمرها الشقاء و البؤس و الألم، فليس فيها ما يرضي و ما يسر و إنما فيها ما يسخط و يحز، و تلمح هذا الشعور بالفروق الهائلة بين الناس بعضهم بعض و هذا نتيجة مؤثرات التي تؤثر في النفس تأثيرا عنيفا و ما

[1]- أنطوان نعمة و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2001، ص 1893.

[2]-المرجع نفسه، ص 736.

تحمله من روح التشاؤم الذي حدا بعيدا من اليأس القاتل فهو تصوير للنفس و ما كان يضنيها من آلام أو هموم في تاريخ ما أو حقيبة ما.

– و هو الشعور العميق بآلام الحياة التي يحياها المواطن، و يرى إلى أي حد قد فسدت الحياة فيه فسادا لا يدع أمـــلا أن يحقق الشبـــاب آلامهم بما يقيدهم به المستعمـــر و أعوانه من قيود و أغلال. و هذا ما نلمحه في شعراء الجزائر أثناء القرون المظلمة، فكان شعرهم عويلا و صراخا من التعاسة و الشقاء و الإحساس العميق بالألم و اليأس الشديد، فقد كان الشعر في هذا القرن صورة من نفوسهم فهو شعر أسود حزين ليس فيه رضا و لا ما يشبه الرضا، و إنما فيه القلق و الكآبة التشاؤم و السخط فالشر يشيع في كل مكان ينتشر في كل أفق، و الناس في حيرة من أمرهم أين المفر؟ فكان التشاؤم مستمدا من تشاؤم مجتمعه فقد طغت موجات اليأس طغيانا جارفا في تلك الأيام السود، أيام الاحتلال على جميع النفوس فهو طغيان قد فل العزائم و ثبط الهمم و أمـــات الآمـــــال و القلوب فلم يعد الشباب يستطيعون الإقدام و العزم الصادق و الهم البعيد، بل أصبحوا فريسة الإحجام و التردد و الخنوع، بل لقد أصبحوا فريسة الشك الأسود الذي يحيل الحياة كلها سوادا، بل لقد أصبحوا غرقى في يم لا ضفاف له.

2- أسباب النزعة التشاؤمية:

اتجه الشعر الجزائري في مطلع القرن العشرين نحوى مسيرة واحدة تتعلق بخدمة الوطن إذ تحول الشعراء آنذاك إلى دعاة إصلاح ديني و اجتماعي متأثرين في ذلك بالحركات الإصلاحية و سخروا شعرهم لتغيير الحالة المتعفنة التي عاشها الشعب الجزائري في تلك الفترة و التي كانت تبعث على التشاؤم و الحسرة على أبناء هذا الوطن الطاهر.

أ- الواقع الديني:

عرف المجتمع الجزائري في فترة العشرينات من القرن الماضي انحـــراف دينـــي و انحلال أخلاقي فادح لم يعهد له مثيل سابقا، حيث تعددت المذاهب و الفـــرق الدينيـــة و شاعت البدع و الضلالات التي يتردى لها الدين، انقلبت الأمور رأسا على عقب و مما زاد الطين بله هي يد الاستعمار الظالم و التي صفقت لما يحدث و بالطبع كان لها عون كبير في حدوث ذلك.

و بما أن الشاعر جزء من هذا الوطن فكان لا بد أن يتأثر و يساهم في التأثير إذ جعل من شعره سلاحا يخضع به الواقع الديني المتدني:«كان على الشعر هو الآخر أن يهدم و أن يبني، كان عليه أن يأخذ الانحراف عزيز مقتدر، يوسعه فضحا و تعرية، و تعقبا و مطاردة، و تمزيقا لحجب القداسة، و أستار الغموض، و كان عليه أن يمد الإصلاح بالفكرة الواضحة، و اللفتة التاريخية المؤثرة، و الغاية البعيدة المنتظرة »[1]. و هذا ما كان عليه الشعر حيث هاجم الانحراف الديني و كان ملحا في المطالبة بالإصلاح كما عمل على خلق جو ثقافي و ديني يحتضن الفكرة المصلحة.

[1]- صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 35.

لقد وصل الانحراف الديني إلى أزهى عصوره، و طوع حتى الوثنية العمياء و استقل أدعياء الدين من واجبهم نحوى الدعوة إلى المثول لها أمر به الدين و نفضوا أيديهم من مهمة تحليل الحلال أو تحريم ما نهى عنه الدين.

هذا التلاعب بالدين فجر هجوم الشعر و عنفه على هذا التطرف فهناك من الشعراء من تفرغ لهذه الواجهة و كرسوا لها شعرهم لأن ما كان يحدث تعدى حدود المعقول كـــ: «إدعاء المعرفة مع تهجئة بعض الحروف، و التطاول على أسرار الغيب، و استمرأ الفاحشة المنكرة، و استحلال الخمر و العرض ثم التبجح بالنسب الموصول إلى خير الخلق، و الشرف الذي يسقط التكليف، و القدرة التي تمنع و تعطي »[1].

و ما أثار دهشة الشعراء و بينهم "محمد السعيد الزاهي" هو تقبل العامة لهذه الاعتقادات و تتبع أصحابها يقول في هذا:

كانوا طوائف شتى، كل طائفـــــة تطيع شيخا لها في كل ما زعمـــــــا

إذ قال إني (ولي) صدقــوه، و إن و إن هو ادعى الغيب، قالوا أحكم الحكما

و إن تعلم بعض الشيء تهجيـــه قليلة، هتفوا يا أعلم العلمـــــــــــا

و إن هو ارتكب الفحشاء فاضحــة فلا محالة، معذور قد أثمـــــــــــا

أو احتسى الخمر، قالوا أنها عسل و لا غرابة في هذا، و لا جرمـــــــــا

أو ادعى أن خير الخلق يخدمـــــه فما اعتدى عندهم فيها، و لا ظلمـــا[2]

[1]– المرجع السابق، ص 37.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أولم يصل، رأوه حسبما زعمـــوا يفتيمها، إذ يزور البيت و الحرمـــا

إن بكي حسبوا الأيام باكيـــــة و يضحك الدين و الدنيا، إذا تبسمـــا

في كفة المنع و الإعطاء عندهـــم و الدين و الخير فيما شادا و هدمـــا[1]

و مما قالـــه أيضا في قصـــيدة أخرى عن قضية « العرض الذي يتحل لـــ(لشيخ) و الشرف الذي يتقرب به إليه، رجاء دعواته و بركاته، و هي ذروة الانحـــلال الخلقـــي، و الانحراف الديني »[2]:

لولا التصوف، ما رأيت ذوي الـــلحى يأتون أمرا، و هو غير مواتـــي

عجبا لقوم يحجبون نساءهـــــــم عن كل ذي عين و ذي لحظـــات

و رأيت منهم من يبيح لشيخـــــه ما كان لزوج له، و بنـــــــات

ما رست أخلاق الشيوخ، فلم أجـــد غير الخمول، و غير حب الـــذات

و وجدت منهم، من يعد أخا العبـــا دة، و هو في لهو، و في لذات[3]

– و كان "الجنيدي أحمد مكي" من الأناس اللذين وقعوا في الأخطاء و الانحرافات في تلك الفترة المظلمة. يقول: «كم من يد قبلتها، أود الآن قطعها، و كنت أميل أقراني إلى هذه الضلالات، و كثيرا ما كان يهز أريحيتي سماع جيراننا أنني سأكون صالحا، نعم. لو لم أخرج من الطقس السمومي لكنت صالحا من أعظم كراماتي قنص ما بأيدي غيري بأحبولة السبحة و اسم الدين، أما عن زيارتي للأضرحة و تقبيلها، و التوسل بأحجار ما

[1]– المرجع السابق، ص 37، 38.

[2]– المرجع نفسه، ص38.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

على توابيتها من الرياش، و التراب فلا تسأل »[1]. لكنه أخرج من مرارة الظلمات التي داهمت حياته إلى النور و أصبح يتمنى القطع لتلك الأيادي التي قبلها سابقا.

و الطرقية أيضا لم تقصر، و كان لها الدور البارز في نشر الجهل و الضلال بين الأفراد الجزائريين من أجل إخضاعهم للسلطة الفرنسية متسترين خلف اسم الدين، حتى استولوا على عقول الناس و أصبحوا ينفذون أوامر شيوخها دون وعي منهم و لو في ارتكاب الجرائم و المحرمات، و هذا ما أدى بالشيخ "الطاهر بن عبد السلام" إلى ذم الطرقية و شيوخها:

لهم طرق شتى بها قد شرعـــــوا و هم عن طريق الشرع عمي البصيرة

لهم من شياطين الأنام عصابـــة تقودهم للنار من غير مريـــــــــــة

و أما جناب الشيخ فليعترف و لا يلبس لأجل العيش أمر الديانـــــــة

لأجل اكتساب الرزق غير وجهه فذي شيمة الفساق أهل البطالـــــــة [2]

و شيوخ الطرقية لم يستولوا على العقول فحسب بل استولوا على حتى الجيوب حيث يقومون بجمع الأموال و هذا تحت اسم الدين كما ذكرنا سابقا و استغلالها لمصالحهم الشخصية....

ترى غرر الأموال تجب إليهـــم فتصرف في مثل الزنا و السبيئة

و في ملك دور أو شراء مزارع ممدة الأطراف ذات خصوبـــة[3]

[1]– محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ج1، ص 99.

[2]– محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، رغاية، الجزائر، 1981م، ص 364.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

ألاعيب الشيوخ و دناءتهم و صلت حتى حرمات النساء، فقد تمكنوا من إعماء بصيرتهن، و أصبحن لأوامرهم سمعا و طاعة و هذا ما لم يغفل عنه "الطاهر بن عبد السلام" إذ يقول واصفا النسوة عند دخولهن على شيخ الطرقية و كلهن تعطرا و تجملا:

و يأتيه من كل الغانيات يزرنـــــــه بأفخر ملبوس و أحسن زينـــــة

بوجه جميل مشرق ذي تـــــــتورد و طرف كحيل ذي فتور و فتنـــه

و قدٍّ كغصن البان يبدي تمايـــــــلا كسا من لباس العصر أجمل حلة[1]

ضاق "الطيب العقبي" درعا من الضلالات التي كان ينشرها أولئك الشيوخ و كانت له مبادرة في محاولة إصلاح تلك الأوضاع و هذا بعد عودته من المدينة المنورة. و مما قاله فضحهم:

عذيري من قوم لحق تنكـــــــروا و باطلهم ما زال في القطر ينتشر

فلما دعوت الله ربي وحـــــده إذا جمعهم يوتي النكير و ينكـــــــر

لحى الله أهل البغي ما قام مرشد يذكرهم بالله إلا تكبـــــــــــروا

إذا أنا ذكرت العباد بربهم أراهم عن التذكير صدوا و زمجـــــروا[2]

و حول "ابن باديس" وقعت أحداث ساهمت في تفجير الشعر منها محاولة اغتياله، و قع هذا من الزمن في أواخر سنة 1926م عند خروجه من الجامع الأخضر بقسنطينة بعد صلاة العشاء، و إلقاءه درس التفسير الذي يلقيه كل يوم و السبب في ذلك أن

[1]– عبد الكريم طبيش، أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة البرق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 162.

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

الانحراف الديني و الاستعمار من ورائه ضاق من النهضة التي يتزعمها "عبد الحميد بن باديس" و التي كان لها تأثير ايجابي في نفس الشعب، و بالتالي قلت فرص العدو في تنفيذ ألعابه و حيله الماكرة. و نظرا لشخصية العلامة "ابن باديس" و مكانته المرموقة في نفوس الجزائريين و الدور الذي قام به خدمة للوطن، كان لهذه الحادثة صدى أيضا في نفوس الشعراء « كانت لهذه الحادثة المؤلمة أصداء في الشعر الذي يضع (ابن باديس) في إطار باعث الشخصية الجزائرية، فمحاولة الاعتداء عليه، اعتداء على تلك الشخصية، و تأمر على حياتها، و انضمام لركب المستعمر الذي تجسم إبادة الشخصية الوطنية أقدس مطامحه »[1].

و من أولئك الشعراء الشاعر "محمد العيد آل خليفة" – و هو تلميذ من تلاميذ الشيخ– حيث استهل إحدى قصائده بوقائع القصة، يقول:

حمتك يد المولى، و كنت بها أولـــــى فيا لك من شيخ، حمته يد المولى

و أخطأك الموت الزؤام، يقـــــــوده إليك امرؤ، أملي له الغلى ما أملي

فيا لوضع النفس كيف الدجى بـــ(هراوة) فأدماك، بل أدمى الكرامة و الفضلا

وأدمى البرور المحض والرفق والهدى وأدمى الشعور المحض والحذق والنبلا

و أهوى إلى فضل بكف لئيمـــــــــة تعود أن ينضى بها ذلك النضـــــلا

فأوسعتها و هنا، و أوسعتها قـــــوى و أجهدها عقدا، و أجهدتها حـــــلا

و كادت يد الجاني المسخر تعتلـــــــي يد الشيخ، لولا الله أدركه، لـــــولا[2]

[1]– صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث ، ص 77.

[2]– محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 117.

و في أبيات أخرى من القصيدة تتجلى فيها نظرة الحسرة و الأسى، و الرثاء للواقع المنحرف

فواعظ صبري أين عهد (محمـــــــد) ترى هل يتيح الله رجعتـــه، أم لا؟

تعال (أبا حفص) ترى العدل ذاهبـــــا كما شاءت الدنيا، تر الظلم محتـــلا

و جاء على الإسلام بعدك معشـــــــر تعدوا حمى الإسلام، و انفرقوا سبلا

غرار لهم في الحق دعوى عريضـــة و إن سمعوا الحق استخفوا به جهلا[1]

ب-الواقع الاجتماعي:

-لقد كانت مأساة الشعب الجزائري خلال بداية القرن العشرين لواقع متعفن ساده الحزن و الأسى و الحسرة و الألم الشديد. حيث قال أحد الكتاب الجزائريين: «لقد تسلط على الأمة عوامل ثلاثة، لو تسلط عامل منها على امة كبيرة، لزعزع ركنها و هد بنائها، ألا و هي الجهل و الفقر و الفرقة، فالجهل أفقدها شعورها بوجودها و كيف تذب عنه، و الفقر أقعدها عن العمل و شل أعضاءها عن الحركة، و الاقتراف آداب قوتها، و ذهب بريحها فينفيها و الحالة هذه عرضة للتلف و الاضمحلال و الهلاك، و هي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جر إليها الظلم و الاستبداد»[2]. و كان نتيجة هذه الضغوطات و العوامل التي كانت هناك جوانب من الانحرافات الخلقية نتيجة التشرد و الحاجة الملحة و غلق المدارس، و ضيق العيش على أرض الجزائر فكانت هناك الهجرة نحو فرنسا.

و إن الهروب إلى فرنسا بتلك الطريقة التي سجلتها "سيدي فرج" تصور معانات هذا الشعب داخل وطنه و قال الإبراهيمي: « في الاستعمار الفرنسي عدة صفات من جهنم

[1]- المصدر السابق، ص 118.

[2]- صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث ، ص 16.

منها أن من أبتلي به لا يموت و لا يحي فهو بعد أن جرد الجزائريين من أسباب الحياة، و تركهم حفاة عراة جياعا ليسجل عليهم العبودية المؤبدة للسادة الأوروبيين، يعملون ليلا نهارا في سبيل القوت المقتر، فإن زاد فتح لهم طريق فرنسا للعمل بسواعدهم، و عندما تثور ثائرة المعمرين لنقصان الأيدي العاملة في كرومهم الواسعة، و حقول القمح المترامية الأطراف، تعود الحكومة إلى استرضائهم بتحجير السفر على الجزائريين »[1].

و نلمح هذا في قصيدة " محمد العيد آل خليفة" من قصيدته 'في باخرة سيدي فرج' أو 'باخرة الموت' قال:

قسا البلد الحريج و ضاق ذرعا بهم، فتيمموا البلد الرحيبـــا

وأدرك ربعهم جدب مشـــت لهم فاستقبلوا الربع الخصبـا

وقالوا إن في باريس عيشـا يروق غضاضة و يلذ طيـبا

وقالوا أنها سلي المعنـــى و قالوا أنها تؤوي الغريبـا

وإن لها من الحسنى لحظـا و إن لنا من الحسنى نصيبا

ألسنا المخلصين لها حضورا ألسنا المخلصين لها مغيبـا

محضناها المحبة و اغتدينا نطارحها التغزل و النسيـبا

ولبينا مهيب الحرب لـما أهاب بنا فأرضينا المهيـتبا

فسدت في وجوههم النواحي مسالكها و لم ترحم حبيـبا[2]

[1]– المرجع السابق، ص 145.

[2]– محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 260.

فنلمح في هذه القصيدة عمق العاطفة و رهافة الإحساس، و صدق التعبير و واقعية الصورة، و وضوح الرؤية، لأن ما عاشه الجزائري لا يغتفر لفرنسا.

فطبيعي أن يكون الشعر حزين في هذا القرن يغلب عليه الكآبة و القلق و التشاؤم و السخط، فالشر يشيع في كل مكان و الظلام ينتشر في كل أفق، فالشاعر تجمعت في صدره و في قلبه أحاسيس قاتمة و معاني مظلمة حيث نلمح قول "رمضان محمود":«إني لتعرني هزة، و ينفطر قلبي و تنشق كبدي، و أغيب عن رشدي، و أحس بألم شديد يدب في جوانحي دبيب الموت في الحياة،كلما خلوت بنفسي، و نظرت إلى حالتنا الحاضرة، و قارنت بيننا و بين أجدادنا الفاتحين النبلاء و تأملت في أعمالهم الذهبية التي خلدت لهم مجدا عاطرا في بطون التواريخ، و ما لآل إليه أمرنا من ذل و مسكنة »[1].

–ففي هذه الفترة– و الشعر في بداية صحوته، و أولى لفتاته إلى الواقع المتعفن في الجزائر ثم إلى الماضي الزاهر. كان لا يملك غير الحسرة، تخونه النبرة المواسية، بقدر ما تعسفه العبرة السخيفة.

يقول "الطيب العقبي":

عرج على قطرنا، و انظم لحالتـــه فحاله اليوم بين الناس تخزينا

يا معشر القوم هبوا من سباتـــكم طال الزمان، و كم غنى مغنينا

و لا يسمع لنا منكم، و كلكـــــــم أصبحتم لقديم المجد ناسيـــنا.[2]

[1]– صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث ، ص 103.

[2]– محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 231.

و إذا استجار (العقبي) بقية دمع و استعارها من شاعر غيره فإن (رمضان) غريق في دموعه، يترك لنا قصيدة كلها مناحة من بيتها الأول إلى بيتها الثلاثين، و تتكرر فيها لفظة "بكيت" و قد سماها 'دمعة حارة في سبيل الأمة و الشرف':

بكيت، و مثلي لا يحق له البكـــا على أمة مخلوقة للـــــــترازل

بكيت عليها رحمة و صبابـــــة و إني على ذاك البكا غير نـــادم

ذرفت عليها دموعا من نواظـــر تساهر طول الليل ضوء الكواكب[1].

كما نلمح الزاهري الذي يوجز حياته الشعرية في هذه الفترة يقول: «إنه لبكاء يقضي على الكمد، و يقتلني الأسى، إذا تذكرت ما كان لوطني من العزة و الشرف و ما كان له من السيادة على الفرنجة، ثم أراه يعد ذلك كله صار إلى الذلة و الهوان»[2].

كما نجد "صالح باوية" في قصيدته الأم الشجاعة الجبارة الماردة فهي تقسم أنها لن تمسح دموع ابنها لأنها منشغلة بتنظيف الأسلحة:

أقسمت أمي بقيدي، بجروحي، سوف لن تمسح من عيني دموعي.

أقسمت أن تمسح الرشاش و المدفع و الجرح بمنديل دموعـــــي.

أقسمت أن تغسل الجرح، و تغدو شعلة تضرم أحقاد الجمـــــوع.[3]

– وكل هذا يصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممض و كأن الحياة و كل ما يتصل بها محنة واسعة، و هو يسلط مشاعر و أفكار على هذه الحياة لعله يستطيع أن

[1]– المصدر السابق، ص 289.

[2]– صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث ، ص 105.

[3]– المرجع نفسه، ص 241.

يفهمها أو أن يقهرها، فيشفق و يفزع فقد تراكمت الظلمات و اسودت الدنيا في أعينهم، بل اسودت أنفسهم و تعقدت تعقدا شديدا، تعقد أشبه أن يكون محنة.

و هذا ما لمحناه في جريدة "وادي مزاب" و قالت: «فإذا كانت فرنسا أما حنونا حقا، و أرادت حقيقة إيقاف ذلك التيار الجارف، فلا تقه بسن قوانين التضييق، و لا بمطاردتهم من مكان إلى مكان، و لا يتركهم مشردين مهملين تتقاذفهم الشوارع الطرقات، و لكن بإغلاق الحانات و المواخير و المقامر و فتح المدارس، و تخفيف الضرائب، و رفع القوانين الاستثنائية عنهم »[1].

و يبقى« "محمد العيد لآل خليفة" أكثر شعراء الجزائر معاناة للمأساة الاجتماعية، و أطولهم نفسا فيها، و إن المعانات لتذهب إلى حد الالتجاء إلى الصحاري و القفار. و الفرار من دنيا الناس الزاخرة بمآسيها المتعفنة بمساوئها (النزعة) الصدفية أو العاطفة الدينية لا تضفيان على الواقع مسحة من المبالغة، أو التهويل و إنما تعمقان الشعورية، و التألم له إن الشاعر حين يضيق برحب الحياة، و يتطلع إلى ضيق القبر، فيرى فيه النزل الطيب و الكرامة الكبرى».[2]

كما نجد هذه الأسطر مختصرة «لوحشية استمرت أساليبها المرعبة طيلة سنوات الاحتلال، و امتدت آثارها إلى الإنسان الجزائري في عهد الاستقلال، إذ مازال الجزائريون بعد ثلاثين عاما من الاستقلال يعانون من تلك الوحشية الماثلة في الأرامل و اليتامى و المعطوبين، و مشوهي الأجساد و من أصابهم خلل في العقل و اضطراب في النفس، إنها النماذج الجزائرية المظلومة التي شاهدت عن قرب جرائم الحلف الأطلسي،

[1]– المرجع السابق، ص 144، 145 .

[2]– المرجع نفسه، ص 149.

و هو يقر بطون الأمهات، و ينتهك عرض السيدات، و يعبث بالأوانس، و نقيل الآباء، و يقطع أجسامهم أمام أعين أبناءهم»[1].

كما نجد من خلال هذا الوضع أن المرأة « دافعت بما أمكن من الوسائل عن العرض و شرف العائلة و القبيلة و القرية، و تعرضت إلى بشع أنواع الاضطهاد و الاغتصاب القتل، و شاهدت بيتها يخرب، و رأت أطفالها يعدمون أمامها، و زوجها يأتي به من السجن مصفدا مشوه الملامح يذل و يعرض كامتحان عسير في شرفه و قيمه»[2].

و تبقى صورة الظلم و التعذيب بادية في قصائد شعراء الجزائر مما آل بهم إلى الحسرة البكاء يقول "محمد اللقاني بن السايح":

يا دهر مللك لا ترثي لحالتنـــــــا يا دهر قف بأقوام مصابيــنا

و إن كان شأنك إرضاء العدو بنا فدون هذا به يرضي معادينـــا[3]

و الصورة نفسها تقرأها عند "محمد السعيد الزاهري" في قوله:

فيا ويح قومي كم يعض عليهــم من الفقر أنيابا و أنياب إقــلال

على أنهم لا يقطعون نهارهـــم و لا ليلهم إلا على القيل و القال

لقد كسر الناس القيود و حطموا و نحن بقينا في قيود و إغلال[4]

[1]– عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 11.

[2]– محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، ص 175.

[3]– عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 14.

[4]– المرجع نفسه، ص 14.

التعريف بصاحب ديوان «شعراء الجزائر»:

إنه كما يقول عن نفسه «محمد الهادي بن علي بن محمد بن العابد بن محمد السنوسي الزاهري نسبة إلى جدنا الأكبر "أبي زاهر الحسني" نسبة إلى الحسن البسيط رضي الله عنه... ولد باليانة قرية من قرى 'الزّاب' الشرقي قبلة بسكرة، النخيل بمنزلنا المعروف بحارة آل الزاهري في ربيع الأول سنة 1320 هجرية/ الموافق لسنة 1902.»[1]

ينتمي إلى أسرة شريفة و عريقة ذات مال و جاه ودين عرف كوالده محب للعلم و المعرفة، و كانت أول وجهة له في طلب ذلك مدينة قسنطينة التي عرفت آنذاك باحتضانها للعلم، و هو في سن مبكر إذ لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، توفي والده في سنة 1919م و واصل أخاه الأكبر العابد تربيته.

تمكن من حفظ القرآن و تلقى تعليمه على يد العلامة 'عبد الحميد ابن باديس' لسبع سنوات (1918–1925) رغب في أن تكون مصر محطته الثانية للاستزادة في طلب العلم في الجامع الأزهر و الجامعات المصرية الحديثة، لكن الاستعمار صده عن تحقيق ذلك الحلم و حتم عليه أن يسلك طريقا آخر في صفوف رفقائه تحت لواء الشبيبة الجزائرية بقسنطينة، و كان له ظهور بارز على صفحات مجموعة من الجرائد: كجريدة المنتقد، و الشهاب، و النجاح، و البرق. من خلال الكتابات الشعرية و الأدبية ضمن اقتراحات الأستاذ –ابن باديس– و من هذه الإسهامات مقالة 'الحكومة و أبناء الزوايا' و مقاله التربوي 'جناية الآباء'، و مقاله السياسي الاجتماعي 'نزع الأرض من أربابها للاستعمار' في جريدة الشهاب.

[1]– محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 5.

أما على صفحات مجلة 'هنا الجزائر' التي تمثل وجها من وجوه الأدب الجزائري الحديث: مقاله 'من آداب الفردوس المفقود' و 'في المجتمع الجزائري مأساة ومساواة' و 'ثروات ضائعة'... و غيرها.

و عن النتاج الشعري كانت له قصائد عديدة منها: قصيدة 'تحية المولد النبوي الشريف' و قصيدة 'على عتبة العام الجديد'، و قصيدة 'متيجة' و قصيدة 'رأس السنة الهجري'...

و قيل عنه كذلك أنه التحق بالعاصمة حيث علم بمدرسة الشبيبة الإسلامية حوالي 1928م، و كانت هذه المدرسة أول وجهة علم بها، و أول مدرسة كان لها مديرا.

و كان لفرنسا أيضا نصيبا من حياته و ذلك في أواخر 1937 لإرشاد الجالية الجزائرية بباريس و تمتين الرابط بينها و بين وطنها و لغتها، لمدة ثلاث أشهر و بعد ذلك رجع إلى تلمسان و استقر رفقة عائلته بهذه المدينة، كانت له عودة أخرى إلى باريس مع إخوانه بتلك العاصمة، من أبهر مؤلفاته 'كتاب شعراء الجزائر' بجزأيه الأول و الثاني عامي 1926م و 1927م.

أصيب السنوسي بشلل نصفي جعله حبيس المنزل لمدة أربع سنوات إلى أن وافاه أجله ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان عام ألف و ثلاث مائة و أربعة و تسعون هجري (1349ه) الموافق للرابع من أكتوبر ألف و تسع مائة و أربعة و سبعون ميلادي (1974م) و دفن بمقبرة القبة بالعاصمة.

محتوى كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" (الجزء الأول):

كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" من أعظم الكتب التي تركت للتراث الجزائري، و ذلك لأنه يجمع بين شعراء الجزائر و أشعارهم في كتاب واحد.

استهل محمد الهادي السنوسي الزاهري مباشرة بإهداء متمثل في قصيدة بعنوان "روحي لكم" يقوم فيها بشكر الشعراء الذين كان لهم الفضل في تأليفه لهذا الكتاب، و يلي الإهداء مقدمة مسبوقة بصورة صاحبه و ذلك كتحليه للكتاب، و ضح من خلالها دوافع كتابته لهذا الديوان و الصعوبات التي واجهته و النظام الذي ضبط به الكتاب، و أشار فيها إلى أنه طلب من كل شاعر أن يرسل له مع شعره صورته و ترجمته و بعثوا له بذلك.

يحتوي الكتاب على أحد عشر شاعرا و أربعة و خمسين قصيدة، و كانت القصائد مرفوقة بشرح المصطلحات الغامضة و خصّ بعض من هذه القصائد بالشرح و التعليق.

و الشعراء الذين حضنهم الكتاب هم:

-الشاعر محمد العيد حم علي.

-الشاعر محمد اللقاني بن السايح.

-الشاعر محمد العيد الزاهري.

-الشاعر الجنيد أحمد مكي.

-الشاعر أبو اليقظان.

-الشاعر الطيب العقبي.

-الشاعر مفدي زكريا.

-الشاعر أحمد الكاتب بن الغزالي.

-الشاعر رمضان حمود بن سليمان.

-الشاعر إبراهيم بن نوح امتياز.

-الشاعر محمد الهادي السنوسي الزاهري.

و بعد الشعراء نجد التعريف بمعد الكتاب الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي، و ختامه الفهرس كغيره من الكتب.

مظاهر النزعة التشاؤمية:

1-شعر الانطواء:

شهدت فترة العشرينيات كغيرها من فترات الاستعمار طوقا للحرية و الاستقرار بخاصة من الناحية الفكرية و الثقافية إذ حيل بين الشعر و الثقافة و العربية، فقد حاول الاستعمار الفرنسي بكل ما يملك من قوة و سيطرة و طغيان أن يضرب حجابا بين الجزائريين و العربية و العروبة، و إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية عن طريق فتح المدارس و المؤسسات لتعليم اللغة الفرنسية، كما قامت بمختلف الإجراءات التي من شأنها محو التاريخ الجزائري، و كانت نتيجة كل هذا أن الشعر قد فتر و خمدت روحه.

و كرد لهذه السياسة الظالمة انجر الشعر في بعض النماذج إلى العزلة و الانطواء على الذات و اجترار الأحزان، و صمت و سكوت، فظهرت المدائح النبوية و اتجه الشعراء إلى التقرب من الله و إلى مدح الأولياء الصالح و التغني بالتقوى.

و بعد أن غلق الشعر على نفسه الباب، أصبح ينظر إلى الحياة من زاوية خاصة هي زاوية الذات المحرومة، و النفس المكبوتة فقد اتجه الشعراء في هذه الفترة إلى أنفسهم يبحثون عنها، كما اتجهوا الزمان و الدّهر يحملونه ما يقاسونه في هذه الحياة من شقاء و عذاب و يلاقونه من صدور و حرمان، أمثال محمد العيد حم علي الذي يرى أن الدهر سبب بلاءه و عذابه و حظه القليل. و هذا ما يتضح في قصيدته "أسطر الكون" إذ يقول في سؤم و ملل من الحياة:

سئمت على شرخ الشباب حياتي فحرت و لم أملك علي ثباتـــــي

أرى حظ أرذال النفوس مواتـــا، و حظ كريم النفس غير مواتـــي

فأجس في نفسي من الدّهر خيفة لعلمي بأن الدهر بعض عداتـــــي

أرى الكون قرأنا من الله منـــزلا على الروح، و الأحداث أي عظات

و أقرأ من آي الشقاوة أسطـــــر على صفحات الكون مرتسمـــــات

فسطرٌ: عباييل أمضهم الطـــوى عراة على لفح الأثير حفـــــــاة

وسطرٌ: أيامي يصطرخن توجعا من البؤس لا يفتأّن مكتئبـــــات

وسطرٌ: يتامى مرهقين تكبّهـــم على جرف البلوى يدُ العثـــرات

وسطرٌ: شيوخ كالأهلة شيـــبٌ، و هل شيبهم إلاّ نذيرُ وفـــــاة؟

وسطرٌ: مشائيمٌ عزار أذلـــــة يسامون بالأرزاء و النكبـــــات

و فوجهتم سطرٌ من الخلق كله، جناة لعمر الحق فوق جنـــــاة [1]

في هذه الأبيات يتضح كيف كانت حياة الجزائر عامة و حياة "محمد العيد" خاصة، حيث سئم حياته و هو في رعيان شبابه سبب ما مرت به من فقر و جهل و جوع و شقاء، و كيف كان حظ الظالمين أكثر ملاءمة من حظ أصحاب النفوس الكريمة كحالة الشيوخ و اليتامى و الأرامل (الأيامى) و العياييل (ج عيل، عيل الرجل: أهل بيته).

[1]– محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 85.

و من القصائد أيضا التي تجلت فيها مشاعر "محمد العيد" نجد قصيدة 'رثاء رشيد'، و 'رشيد' هو رجل جزائري حصلت بينه و بين رجل اسباني يدعى 'فرنسوا' ألفة شديدة منذ الصغر حتى أنهما أنهيا صغرهما معا في محبة و أخوة.

و كان ما يسمعه 'رشيد' من أساتذته أن دولتهم تساوي بين الناس و لا فرق بين عربي و فرنسي ، لكن لما بلغ رشده و اخرط هو و صاحبه في الجندية الفرنسية تبين له أن ذلك كان مكرا و خداعاً حيث أن 'فرنسوا' ارتقى إلى رتبة قائد حرب كبير، و لم يزل هو في الدرجة الثالثة و حينها تفطن إلى الرجوع إلى بلاده و الدفاع عن حقوقها إلى أن مات شهيد العدل و المساواة، يقول الشاعر و هو متأثر بوفاة 'رشيد':

نعم لك في العلا عمل مجيـــدٌ، و لكن ما جزاؤك يا رشيد؟

قضيت على الصبا أسفا و حزنا، كذلك ينتج الضغط الشديد

علام (فرانسوا) يعلوك كعبـــا و أنت لمثله الكفء الوحيد؟

أم تك يا رشيد له شقيقـــــا زمان أبوكما العلم المقيـد؟

و كنت بجنبه في الحرب لمـــا أمضّ قواكما الجهد الجهيـد

حياتك كلها مأساة حـــــزن يشيب لهول منظرها الوليـد!!

و موتك يا شهيد العدل ذكـرى مؤثرة يلين لها الحديـــــد

وقفت عليك أشعاري عظـــات لما أولى لك الدهر العنيـد[1].

و نحت عليك في ظلم الدياجـي و هل يجدي نواحي و يفـيد؟

[1]– المصدر السابق، ص 91.

و إن تك قد قضيت العيش بؤسا فعند الله طالعك "العيـــــد".[1]

يعلو "محمد العيد" بمكانة 'رشيد' و يحدد خصاله الحميدة و كيف كان لصديقه الصديق المخلص و الوفي في حين قوبل هو بغر ذلك، و يتضح لنا في هذه الأبيات مدى تأثر "محمد العيد" بشخصية 'رشيد' و خاصة في البيت ما قبل الأخير حيث يقول:" **و هل يجدي نواحي و يفيد؟**"

لمحمد "اللقاني بن السائح" قصيدة بعنوان 'إلى الشعب الجزائري' يتحصر فيها عن ما آلت إليه حالة أبناء الجزائر و مدى تعاستهم فيها و قلة حظهم، و معاناتهم من ذلك الواقع المظلم، و يدعوهم غلى التحدي و النهوض من أجل تحسين الأوضاع و التخلص من الحياة المريرة:

بني الجزائر هذا يكفينـــــــــــا لقد أغلت بحبل الجهل أيدينـــــا

بني الجزائر هذا الفقر أفقدنـــــــا كلّ اللذائذ حيناً...يقتفي حينـــــا1

بني الجزائر هذا اللهو أوقعنـــــا في سوء تهلكة عمّت نوادينـــــا

بني الجزائر قومي ما لكم غربـــــا عن نيل مكرمة ترضي المحبّينـــا

بني الجزائر قومي استيقظوا فلكـــم أذاقنا اللهو، و الإهمال يهوينـــــا

بني الجزائر ماهذا التقاطع مـــــن دون البرايا، عيوب جمعت فينـــا

فقر! جهل!! وآلام! وصعبـــــــة!! يا ربُّ رحماك هذا القدر يكفينـــا

فالجهل قاتلنا، و الفقر مهلكنـــــــا، و البأس خاذلنا، و اليأس مردينا...

[1]– المصدر السابق، ص 92.

مدّوا أيديكم فها كفيّ لنتحـــــــــــد إن التفرق، باللعار يؤذينـــــــــا

هيا نؤمّ زلال العلم نشربـــــــــــه، فالجهل يقتلنا، و العلم يحيينـــــــا

الناس بالعلم شقوا الأرض، و اخترقوا و شيدوا، و بنوا عزا و تمكينـــــا

الناس في الجو طاروا، حلّقوا، و علوا، و نحن نحسبهم جهلا شياطينـــــا

الناس بالعلم نالوا ل مكرمـــــــــــة، و نحن بالجهل لا يرجى تلاقينـــا

كل المسائل أوهام مخيمـــــــــــة، فالحلم يشبعنا، و الوهم يردينـــا.[1]

و يواصل إلى أن يعود إلى ذم معيشتهم التي لا قيمة لها، و يتهم الدّهر في ذلك يقول:

يا دهر مالك لا ترثي لحالتنـــــا يا دهر، رفقا بأقوام مصابينا

إن كان شأنك إرضاء العدو بنا فدون هذا به يرضى معادينا[2]

أما "الجنيد أحمد المكي" ففضل الانطواء على نفسه على قمة جبل "عالي الناس" و هو جبل عظيم قرب قرية 'الخنقة' (قرية من تابعات عمالة قسنطينة أيام الاستعمار) و هو جبل مرتفع جدا، جميل المنظر، به منابيع متدفقة، و نباتات ذات ألوان، و هو أجمل مكان في الصيف للمصيف، و قد نظم به "أحمد المكي" قصيدته 'وقفة بجبل عالي الناس' يقول فيها واصفا منظر الجبل:

يا عالي الناس بالجوار واسينـــا، وارع الدمار، و لا تكن "كمسينـــا"

بالطور فجر ينابيع النسيم عـــلى قلب يكن به الدّهر البراكينـــــــا

[1]– المصدر السابق، ص 109.

[2]– المصدر نفسه، ص 111.

أم أنت "الأم" في لين و في كنـــف بوعدها، و أباطيل تولينـــــــــا

فلنترك النار للنيران تطفئهـــــا الداء للداء يبريه و يبرينـــــــــا

***

أخا السحاب، أبا الهضاب قد بلغت أسباب فزعك في العلياء تمكينـــا

ماذا الشموخ لعام الهوا فهـــــل طاولت فرعون، أم سابقت نيرونا[1]

رفعت عرشك عن سهل، وعن جبل و شدت للوحش، و العقبان تحصينا

لواء مجدك خفاق على قمـــــــم سناؤها لبعاد الأفق يدنينـــــــــا

بك الوكور،و أطيار مغـــــــردة، بك البروج بحسن الصنع تبنيـــنا

سلاسلٌ، و مراسي في الصخور بدت يحكي تشعبها الرقط الثعابينـــا

لا يدرك الفكر فحواها، و لا يقفـــن على حقيقتها إن رام تبيينـــا[2]

تعود النظرة التشاؤمية في أشعاره (أحمد المكي) إل أسباب عديدة بدأت منذ اشراقة حياته على قريته النامية المنعزلة و التي تخلو من أي احتكاك خارجي و ليس لها أي تأثير ثقافي أو فكري بالآخر، و لم يكن لها نظام تعليمي داخلي، و ما يتمكن منه ابن تلك القرية إلا الدروس القرآنية، إضافة إلى تعلق أهلهم بالأفكار و الخرافات الصوفية.

لا تختلف ظروف حياة كل الشعراء الذين كتب لهم أن يعيشوا في مطلع القرن العشرين، لكننا نجد أن "السعيد الزاهري" كان أكثرهم شؤما و تزهدا من الحياة إذ يقول

[1]– المصدر السابق، ص 190.

[2]– المصدر نفسه، ص 191.

في حسرة عن بلاده: «أرى الجزائر في أنياب بؤس يمضغها مضغا، و أراها في فقر يأكلها آكلا لماًّ، و أراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء، و تعمه في ضلال مبين، فلا أستطيع مع ذلك صبرا، أراها، فيذوب فؤادي لها رقة و حزنا و تذهب نفسي عليها حسرات!!!... إنه ليكاد يقضي عليّ الأسى إذا أن ذكرت ما كان لوطني من العزة و الشرف»[1].

هذه هي حالة أبناء الجزائر بعد أن كان أجدادهم من أخيار الأمجاد و أقوى الشعوب و أشرف الشرفاء، و كانوا أفضل العالمين، يقول:

هم القوم، لا هم الزمان كهمهـــــم و لا باعهم عمّا أرادوا بقاصـــر.

و قال:

فكانوا هم القوم الأكابر في الورى و ما كان قوم غيرهم في الأكابر[2]

لكن واقع الأمة الجزائرية لم يبقى على حاله بفعل الاستعمار و انقلبت الأمور رأسا على عقب.

و ما قاله في وصف الناس و حياتهم:

تهش لنا الدنيا فنرضى و نقطـــــب فنغضب، و الأيام ترضى و تغضب

كذلك شأن الدهر مرّ مذاقـــــــــه لقوم، و قد يحلو لقوم و يعـــذب

كأن الورى و الدهر بحر صروفـــه قوارب يطفو تارة ثم ترســـــب

[1]– المصدر السابق، ص 138.

[2]– المصدر نفسه، ص 138.

وما الناس إلا اثنان هذا منعّـــــم، وذاك على جمر الشقا يتقلـــــب

و هذا أخ حزم يجدّ إلى العـــــلا وذلك لا ينفك يلهو و يلعـــــب

ومن لم ينم إلا غرار رأيتـــــــه، وكم منه من العليا تبلج كوكــب

ومن بات حلفا للكرى ملء جفنـــه فهيهات أن يخطي بما يتطلـــب

ولولا انتشار العلم والجهل في الورى لما كان مغلوبٌ، و لا متغلـــب

إني إذا مالأمر عز طلابـــــــه ليدنو به مني اعتزام مـــــدرب

أحاول مجدا ابتغيه مؤثـــــــلاٌ، وهل كان بعد المجد للحر مــرأب

و أني إن أبعدت همي فإن لـــــي عزائم تدني ما نأى و تقـــــرب

و لست مقيما في بلاد نكرتهـــــا فــ(كل مكان ينبت العز طيـــب)

لست أقول الشعر إلا لأننـــــــي أُروّح ما تخفي الضلوع و تحجب.[1]

في هذه القصيدة نظرة للشاعر في الناس و صفاته، و موقفه حول حال الدنيا و الحياة التي يعيشونها، حيث تجسد هذه الأبيات أن الناس لا يعيشون بنفس الحظ و النصيب، إذ نجد من هو في الدنيا منعم و آخر بين يد الشقاء يتقلب و هناك من يسعى جاهداً ليبلغ العلا، و آخر يمضي وقته لهوا و لعب، و الشاعر يوجه هذا الانقسام إلى انتشار العلم و الجهل، فلولا وجودهما لما كان هناك متغلب و مغلوب على أمره، و في آخر هذه الأبيات نلمح انبعاث أمل على نفسية الشاعر الذي كان له العزم في تخطي كل الصعوبات و إبعاد الهموم عن سبيله من أجل الوصول إلى ما يبتغي إليه.

[1]– المصدر السابق، ص 167.

هذه هي حالة الجزائريين و حظهم في الحياة و هكذا كان موقف الزاهدين من الدنيا.

و على العموم فقد اتجه الشعر في هذه الفترة إلى الاتجاه السلبي القاتم، لكنه حاول تقديم حلول، و شارك الشعب مأساته، و ساهم في التخفيف من معاناته، و بث شعاع الأمل في نفسه.

أ- شعر الاغتراب:

لقد حاول هؤلاء الشعراء أن يكتبوا من خلال الوطني الثائر فبدت فرنسا في أشعارهم مرعبة مغتصبة، و هي محتلة للأرض مؤسسة للسجون و المعتقلات و المحتشدات كما بدت مسيطرة ماسكة بأسباب الصراع الحضاري إذ لم يخرجوا عن هذه المفاهيم، إذ عبرت السجون عن الغربة بمعنييها المادي عن الشعراء الذين أجبروا عن مغادرة الوطن إما نفيا أو سجنا، و المعنوي عند الشعراء الإصلاحيين خاصة الذين أحسوا بغربة نفسية و فكرية و روحية أمام الأوضاع المزرية القاتمة التي فرضها عليهم المستعمر في ظل الطرقية و طمس معالم الشخصية العربية و الإسلامية.

و الغربة أنواع: الغربة المكانية و تتمثل في الإحساس الذي يشعر به الإنسان، في بعده عن وطنه، و الغربة الزمانية هي الحالة النفسية التي تصيب الإنسان داخل وطنه في مرحلة زمانية غير مواتية تجعله يشعر بالغربة بين أهله و ذويه في مجتمع قد نشأ فيه و يرجع ظهور هذا النوع من الغربة إلى ما كان يسود بعض الفترات التاريخية من فتن و صراعات سياسية و ظلم.

كان للشاعر "الجنيد أحمد المكي" تجربة في هذا النوع من الشعر (شعر الاغتراب) و نجد ذلك في قصيدته "حقيقة لا خيال أو شاعرنا في وطن الغربة":

إن ملت للعرب قالـــــوا: للعربي وصـــــــــال؟؟

أو ملت للسود قالـــــوا: ذا أبيض مختـــــــال

أو ملت للروم قالـــــوا: صفاء هذا خيـــــــال

يا ليت شعري لمـــــــاذا هذا القلى و المقـــــال

و الأصل فريـــــــــــد، و المرء للمـــــرء آل

***

لما رأيت نفـــــــــورا، و الخب داءٌ عضـــــال

خطبت للوحـــــوش وداً فجاء منه غـــــــــزال

يحفّه من نضـــــــــارٍ، و فضة سربـــــــــــال

و زانه وشي حلـــــــي و جيده المعطـــــــــال[1]

كأنه حيث يبـــــــــدو لناظري هـــــــــــلال

يا حسنه من أنيـــــس عداه قيل و قـــــــــال

***

و أسس سهيل غريبـــا جفاه خلّ و خـــــــــال

إن مال للغير مالـــــوا عنه و جدّت حبـــــــــال

هبال الهنى عن أناس لغير ودي مالـــــــــوا

[1]– محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ص 187.

وكن صفيا صفـــــا، فصفو غيـــــــرك آل[1]

كتب هذه القصيدة لمّا انتقل إلى إفريقيا الغربية سنة 1922 لإدارة مدرسة "بسانلوي"، و لما كان الحر شديدا اتخذ لرأسه مظلة وقاية من حر الشمس، و هو عادتا يلبس لباسا أوروبيا فلما رآه السينيغاليون فرّوا منه ضنا منهم أنه كافر فسبب عن ذلك هجره، و اشترى غزالا سماه "سهيلا" يتسلى به كلما ضاق من ألم الاغتراب المر.

و هذا ما جسدته هذه الأبيات من مشاعر غربة خارج الوطن و نظرة الآخرين للمغترب.

و يقول "محمد الهادي السنوسي الزاهري" و هو يتساءل عن وجود أرضه و دياره و وطنه:

أين أرضي و جنتي و ديـــــاري؟ أصبحت ضيعة للاستعمار

أين طيري الذي إذا هب وهنـــــاً شاديا شدوه مع الأطيـــار1

يبعث الشعر في النفوس بما يســـ ـــمعها من رقائق الأشعار

***

قل لمن لا يرى الأهالي شيئـــــاّ إنهم في الخطوب أهل البدار

قاسموك الشقاء في كل حـــــرب، وارتدوا بالدماء تحت الشفار

هم أولو السبق للحتوف فأحـــــرى أن يثوبوا بكل حق جاري

[1]– المصدر السابق، ص 188.

***

قل لمن يحبب الأناسي وحشـــا ثم يأتي بمدية الجزار

إننا لم نكن وحوشا ولكـــــــن، ذاك السائق المهيمن ضاري

***

قل لمن أسدل الستار عليـــــنا ثمّ عاب غشاوة الأبصار!

لم لمستعمر البلاد فصـــــــول مثلت من وراء ذاك الستار[1]

من خلال هذه الأبيات يتضح لنا تجليات تلك العاطفة الجياشة التي ملأت قلب الشاعر بأنين الحزن و الألم، و النابعة من إحساسه بالغربة في أحضان وطنه انعكاسا للوضع الذي عانته الجزائر من اغتصاب لأراضيها، و طمس لمقوماتها و معالمها، فيعبر الشاعر عن قسوة الإحساس الناجم عن انتزاع الهوية و اغتصاب الأرض، كالطير الذي أصابه الوهن بعد أن كان يشدو شدوه مع الأطيار، و يغرد في سماء الحرية. و بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الإشادة إلى حقارة فرنسا التي تستتر خلف ستار المصلح و صاحب نية صافية في الدخول إلى الجزائر من أجل الرفع من وعي و ثقافة الشعب الجزائري.

فالجزائري أصبح ضالا في وطنه و ضالا و مشتتا في نعمت فرنسا به واعدته ملكها و كان لها السلطة الكاملة عليه و تسير أموره كما يحلو لها.

[1]– المصدر السابق، ص 324.

و الشاعر الطيب العفي أيضا ذاق مرارة العيش بعيدا عن الوطن، فهو عاش جل حياته بين الحجاز و المدينة و ما زاد من إحساسه بالغربة هو وفاة أبيه فعاش يتيما غريبا في حجر أمه. و مما جاء في قصيدته "الأقلام أسلاك المناجاة" و التي بعث بها إلى أستاذه:

أدبٌ يروق إلى جلال الشـــأن هذا لعمرك مفخر الإنســـــان

لا تبك حظك في الحجاز فإنمـــا لك في الجزائر ميزة الرجحـــان

إني عهدتك في مدى أرجائهـــا شيخ العلوم، و منبع العرفـــــان

ولأنت فيها زهرة فيحاء، مـــا برحت تروق لزائري البستـــــان

يا صاحب الطبع، و منبع الشـــ ـــعر الطريف، (وطيب) الأفنـــان

منذ أسمعت رقيق شعرك مـــرّة من قبل عن "فتى" و عن "سحبان"؟[1].

هذه القصيدة العصماء أنشأها العبقري النابغة السيد "محمد العيد"، و أرسل بها لحضرة الأستاذ المصلح الكبير الشيخ "الطيب العقبي"، أثبتها هنا مع القصيدة التي أجابه بها الأستاذ لتكون مثلا للأدباء في مناجاة بعضهم البعض، و الأقلام أسلالك مناجاة أدباء و مما جاء في رد الأستاذ عليه قوله:

روض الأديب، و زهرة الشبان: وافي نظامك، بل عقود جمـــان

فلبثت حولا لا أجيبك صائمـــا صوماً كصومي اليوم في رمضان

و دهشت من ترصيف ما أبدعته: لم أستطع رداً على "سحبـــان"

[1]– المصدر السابق، ص 246.

و اليوم، عيد الفطر حقا قد أتـــى فعجبت إذ عيدان يلتقيـــــــان[1]

فكانت هذه المناجاة تخفف قليلا على غربة الطيب العقبي و تروح عنه عن طريقة أقلامه.

[1]– المصدر السابق، ص 247.

خـــــاتمـــة:

في نهاية هذه المحاولة المتمثلة في دراسة "النزعة التشاؤمية في الشعر الجزائري الحديث في العشرينات" تطرقنا إلى الأوضاع التي كانت سببا في ظهور النزعة التشاؤمية و مظاهرها و الإلمام بما قدمه بعض الشعراء و للمثقف و القارئ و المهتم بقضايا أمته و الشعب لكي يستطيع هذا القارئ أو المطلع على هذا البحث أن يفهم الأوضاع القاسية التي عاشها الشعراء، هذه الأوضاع هي التي جعلته متغنيا بآمال و آلام شعبه و الظروف القاسية المختلفة في الزنزانات المظلمة و المواقف الطارئة و حالات الغربة و السجن.

فلقد كتب الشعراء الجزائريون أروع القصائد رغم ما عاشه فكانوا مبدعين مما عاشوه من اغتراب و سجن و نفي صامدين في وجه الطغاة.

و يمكن القول أننا وصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-التعرف على الأوضاع و الأحداث التي سادت الجزائر و معانات الشعب الجزائري الاجتماعية زو الثقافية و التاريخية هذا من ناحية، و أنواع الأساليب التي استخدمها المستعمر الفرنسي في محاولة محو الشخصية و السيطرة على الأرض من ناحية ثانية.

- الدور الذي لعبته الحركة الإصلاحية و الوطنية و دور الصحافة و التعليم، التي كانت تحمل غاية واحدة تمثلت في إصلاح المعتقدات الدينية و الاجتماعية و السياسية الفاسدة، كما نجد من جهة من جهة شيوخ الطرقية أعانهم المحتل على ما هو فيه من ضلال و فساد حتى أصبح الواحد منهم إذا أراد فتح زاوية في سبيل نشر الخرافات استجابت له، و أذنت له و ربما أعانته بالمال.

-و تعرفنا على مجموعة من الشعراء الذين نقلوا معاناتهم و وظفوا أقلامهم لصالح الدفاع عن الجزائر و هويتها.

و في الأخير يمكننا القول بأن هذه معظم النتائج التي تمكنا من الوصول إليها من خلال بحثنا هذا، إلا أن هذا البحث لم يكن ملما بكل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بهذا الموضوع، و لذا فهو يبقى مفتوحا لمزيد من البحث و الدراسة و التعمق.

قائمة المصادر و المراجع:

المصـــــادر:

1. محمد العيد آل خليفة، ديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط.ت).

2. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، الجزائر، 1994، الجزء الأول.

المـــــراجع:

3. أحمد الخطيب، حزب الشعب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، الجزء الأول.

4. أنطوان نعمة و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2009.

5. بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 و انعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

6. جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

7. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الرائد العربي عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، الجزء الأول.

8. شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر.

9. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

10. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع.

11. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

12. عبد المالك مرتاض، الثقافة (أسلوب الصحافة العربية في الجزائر)، مطابع الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

13. العربي منثور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

14. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

15. عمر بوقارورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004.

16. محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830إلى 1904 دراسة تاريخية، منشورات، وحدة الرغاية، الجزائر.

17. محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

18. يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب، دار الهدى،ج1، عين مليلة، الجزائر.

الرسائل الجامعية:

19. إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الإستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية (لم تنشر)، مذكرة ماجستير في أدب الحركة الجزائرية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، 2008.

20. عبد الكريم طبيش، أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة البرق، لنيل شهادة ماجستير (لم تنشر)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

المجـــــلات:

21. مجلة الأصالة، العدد 46/ 47، جوان – جويلية1977.

الفهرس: **الصفحة**

دعاء

كلمة شكر

إهداء

مقدمة (أ، ب)

الفصـــــــل الأول: أوضـــــــاع الجزائر في العشرينات

الوضع السياسي.....2

الوضع التاريخي.....9

الوضع الثقافي.....17

الوضع الاجتماعي.....31

الفصـــــــل الثانـــــــي: النـــــزعة التشاؤميـــــــــــة.

مفهوم النزعة التشاؤمية.....37

أسباب النزعة التشاؤمية.....39

الواقع الديني.....39

الواقع الاجتماعي.....45

الفصـــــل الثالث: الجـــــــــــانب التطبيــقي.

التعريف بصاحب ديوان «شعراء الجزائر».....52

محتوى كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" (الجزء الأول).....53

مظاهر النزعة التشاؤمية.....55

شعر الانطواء.....55

شعر الاغتراب.....63

الخاتمة.....70

قائمة المصادر و المراجع.

الفهرس.